بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

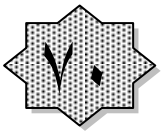

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدرعن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٧٠ ـ ربيع الثاني ١٤٣٤هجرية قمرية

اسفند ١٣٩١هجرية شمسية / مارس (آذار) ٢٠١٣

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران –طهران –ص. ب: ٦٩٩٥– ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني: info@taghrib.ir

الطباعة: حسين المندلاوي / على حروف (**قلم برتو**) خاص بالنشر المحترف

النسخة رقم (٢) من www.MaryamSoft.com

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

آية الله الشيخ محسن الأراكي

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة :

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.IranArab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ ـ ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ ـ المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٧٠

من توجيهات الإمام الخامنئي ٤

الربيعان ربيع المولد وربيع انتصار الإسلام في إيران ١٧

عوامل تذويب هوية الأمة وسبل مواجهتها ٢١

مشروع لدراسة السيرة النبوية في الإطار الحضاري ٢٩

عناصر ومرتكزات وحدة الأمة المسلمة ٣٨

دور العلماء في صيانة الهوية الإسلامية الواحدة ٤٦

طبيعة الموقف الإسلامي من الأمم الأخرى ٦٢

العناصر المؤكدة لوحدة الأمة الإسلامية قراءة معاصرة ٧٢

عناصر وحدة الأمة الإسلامية بين النظرية والتطبيق ٨٦

مؤثرات التقارب والوحدة من خلال التفسير النبوي للقرآن الكريم .. ١٠٥

النبي عليه الصلاة والسلام السبيل الوحيد للوحدة والألفة ١١٥

من توجيهات الإمام الخامنئي

كلمة سماحة السيد القائد في المشاركين

بالتجمّع العالمي لأساتذة جامعات العالم الإسلامي والصحوة الإسلامية

١٤٣٤/١/٢٦هـ = ٢٠١٢/١٢/١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

أرحب أولًا بكم أيها الضيوف الأعزاء القادمين من مختلف البلدان، وبالأساتذة المحترمين من جامعاتنا.

أهمية هذا الاجتماع

منذ ما يقارب من سنة ونصف السنة انعقدت حتى الآن مؤتمرات وتجمعات ولقاءات عديدة حول الصحوة الإسلامية في طهران. لكني أعتقد أن تجمّع الأساتذة هذا يحظى بأهمية خاصة. إذ إن (خواص) المجتمع يمسكون بيدهم عملية بلورة الخطاب و إحداث تيارفكري.. إنها بيد علماء المجتمع. هؤلاء هم الذين يستطيعون هداية أفكارالشعوب باتجاه يؤدي إلى إنقاذ الشعوب، وكذلك بإمكانهم ـ لا سمح الله ـ أن يوجهوها لما فيه شقاء الشعوب وأسرها ونكبتها. وهذا الثاني قد حدث ـ مع الأسف ـ خلال العقود السبعة أو الثمانية الأخيرة في بعض البلدان، ومنها في بلدنا.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «لا تصلح عوام

الأمة إلاّ بخواصها» قيل يا رسول الله ومَنْ خواصّها؟ قال: «العلماء»، ذكرالعلماء أولًا ثم ذكرآخرين.

الشجاعة والإخلاص

أساتذة الجامعة، والمفكرون، والنخب العلمية في أي بلد قادرون إذن أن يكونوا في طليعة حركة الناس.طبعًا بشرط الإخلاص وبشرط الشجاعة.. بشرط عدم الخوف من الأعداء. لو استولى الخوف، لو استولى الطمع، **لو استولت الغفلة، لو استولى التقاعس، فالأمورستتجه إلى الخراب**. إذا لم يكن ثمة خوف وكانت الشجاعة،و إذا لم يكن ثمة طمع أو غفلة، وكانت اليقظة والوعي، فهناك تصلح الأمور.

في بداية الثورة،قبل أكثرمن ثلاثة عقود واجهنا قضية مهمة للغاية، ذهبت أنا واثنان آخران (وكنّا آنذاك أعضاء في مجلس قيادة الثورة) من طهران إلى قم (وكان الامام الخميني آنذاك في قم ولم يأت بعد إلى طهران) لنعرف رأيه في تلك القضية الهامة.حين شرحنا الموضوع للإمام التفت إلينا وقال: هل تخشون أمريكا؟ قلنا: لا.قال: إذن إذهبوا ونفّذوا. ونحن عُدنا ونفّذنا،ونجحنا. **حين يأخذنا الخوف أو تأخذنا الاتجاهات المنحرفة فإن الأمورستصيرإلى وبال.**

تغيّرُالعالم الإسلامي

العالم اليوم يشهد حادثة كبرى.هذه الحادثة العظيمة هي عبارة

عـن «الصـحوة الإسـلامية». هـذه حقيقـة. الشـعوب المسـلمة والأمـة الإسـلامية قـد اسـتيقظت بالتـدريج. لـم تعـد السـيطرة علـى الشـعوب المسلمة بالأمرالهيّن كما كان الأمرفي الفترة الطويلة من القرنين التاسـع عشـروالعشـرين وبعـد الحـرب العالميـة الأولـى. لـو أراد المسـتكبرون اليـوم أن يسـطيروا علـى الشـعوب الإسـلامية فـإنهم سيصـطدمون بعقبات.اليقظـة دخلـت إلى عـالم المسـلمين وضـربت بجذورها في الأمة. في بعض البلدان تبدلت هذه الصحوة إلى ثورة اقتَلعت الأنظمة الفاسدة العميلة، غيرأن هذا هو جزء من الصحوة الإسـلامية، وليسـت الصـحوة الإسـلامية كلها.الصـحوة الإسـلامية واسعة وعميقة.

الخوف من تعبيرالصحوة الإسلامية

الأعداء ـ طبعًا ـ يخافون من كلمة «الصحوة الإسلامية» يسعون إلى حـذف اسـتعمال هـذا التعبيـرلهـذه الحركـة العظيمـة.لماذا؟ لأن الإسـلام إن يظهـر علـى السـاحة فـي شـكله الحقيقي، فـي مشـروعه الـواقعي، فـإن أجسـادهم ترتجـف مـن ذلـك . هـؤلاء لا يخـافون مـن إسـلام منقـادٍ وعبـدٍ للـدولار،لا يخـافون مـن إسـلام غـارق فـي الفسـاد والارستقراطية، لا يخافون من إسلام. لا يمتد إلى ساحة العمل ولا يمتدّ إلـى جمـاهيرالشـعب .لكـنهم يخـافون مـن إسـلام العمـل، إسـلام المبـادرة، إسـلام جمـاهيرالشـعب، إسـلام التوكـل علـى الله، إسـلام

حسن الظن بالوعد الإلهي إذ قال عزَّ مِنْ قائل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ حين يذكراسم هذا الإسلام،وحين تبرزمعالم هذا الإسلام، فإنّ مستكبري العالم ترتعد فرائصهم: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ، فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ لذلك لا يريدون أن يكون ثمة عنوان الصحوة الإسلامية.**لكننا واثقون إنها صحوة إسلامية، صحوة حقيقية، متجذرة راسخة. تتجه نحو الامتداد، ولا يستطيع الأعداء بكل ما أوتوا من قوة أن يحرفوها عن طريقها.**

لماذا نقول إنها صحوة إسلامية؟

من الضروري ـ طبعًا ـ دراسة الأخطار. هذه هي المسألة الأولى التي أريد طرحها عليكم. هذه الثورات التي حدثت في مصروتونس وليبيا وأمثالها وحققت الانتصاربحاجة إلى دراسة ما يواجهها من أخطار، ما يواجهها من مشاكل.**لماذا نقول: إن الذي حدث هو إسلامي حتمًا. انظروا إلى شعارات الجماهيرطوال هذه المدة. انظروا إلى دورالمؤمنين بالمشروع الإسلامي في إسقاط الأنظمة الفاسدة. لو لم يكن المؤمنون بالإسلام والجموع الغفيرة المؤمنة من الأعماق بالإسلام والتي لها مكانة في قلوب الناس ،لما تشكّلت تلك التجمعات العظمية في مصروتونس.**

إن الذي هدم البناء البالي لحكومات أمثال حسني مبارك وبن علي هو الضغط الذي انبثق من حركة الجماهيروالحضور

الجماهيري.. **إنها الجماهيرالمسلمة بشعاراتها الإسلامية**. دور الإسلاميين في إسقاط هذه الأنظمة هو بنفسه أقوى شاهد على أن هذه الحركة حركة إسلامية. **ثم بعد ذلك متى حان وقت إدلاء الأصوات فإن الجماهيراتجهت إلى الإسلاميين، ودعموهم، وفضّلوهم على غيرهم**. وأقولها لكم، لو أن انتخابات نزيهة حرّة جرت في جميع أرجاء العالم الإسلامي تقريبًا (وربما كان ثمة استثناء بسيط)، وكان القادة المسلمون والساسة المسلمون في الساحة فإن الجماهيرستدلي برأيها لصالحهم.هكذا الأمرفي كل مكان. من هنا فإنها دون شك حركة إسلامية.

وضوح الأهداف

ذكرت أن هذه الثورات بحاجة إلى دراسة ما يواجهها من أخطار. و إلى جانب ذلك تبيين الأهداف، لو لم تتبيّن الأهداف لحدثت الفوضى وحدث الخبط. **لابد من تبيين الأهداف**.

أحد أهم أهداف هذه الصحوة، التخلّص من شرّسلطة الاستكبارالعالمي. لابدّ من إعلان هذا الأمربصراحة.إنه لمن الخطأ أن يخامرنا خيال إمكان تنازل الاستكبارالعالمي بزعامة أمريكا أمام الحركات الإسلامية. **أينما كان ثمة حضورللإسلام والتوجه الإسلامي وللإسلاميين فإن أمريكا ستسعى بكل وجودها إلى قمعه،طبعًا ستبدي ابتسامة ظاهرية**. ليس أمام الإسلاميين سوى أن

يشخّصوا حدّهم الفاصل .لاأقول أن عليهم محاربة أمريكا. أقول عليهم أن يفهموا طبيعة موقف أمريكا والاستكبارالغربي تجاههم، وأن يشخّصوا ذلك بشكل صحيح. لو لم يحصل لديهم هذا التشخيص فسوف تنطلي الخدعة عليهم حتمًا.

الاستكبارالعالمي يهيمن على العالم اليوم بسلاح المال والعلم،لكنه يعيش في فراغ فكري.. في فراغ الفكرالموجّه. الاستكبارالعالمي يواجه اليوم هذه المشكلة الكبرى، لا يمتلك الفكرالذي يقدّمه إلى البشرية. ليس لديه المشروع الذي يقدّمه ويبيّن فيه الطريق للجماهير، لخواص الناس، للمثقفين. لكنكم تمتلكون ذلك،لديكم الإسلام. حين يكون لدينا الفكر،وحين يكون عندنا خارطة الطريق، نستطيع أن نرسم أهدافنا، نستطيع أن نصمد. عندئذ سوف لا يكون لسلاحهم وعلمهم وأموالهم ذلك التأثير الذي كان لهافي الماضي.طبعًا سوف لا تكون عديمة التأثير، لابدّ أن نفكرنحن أيضًا في قِبالهم .وسوف أبيّن ذلك إن سمح الوقت ـ **لكن المسألة المهمة هي أننا، إذ نمتلك الفكروخارطة الطريق والايديولوجية،لابدّ أن نعرف ماذا نريد أن نفعل، لابدّ أن نرسم الأهداف.**

الإسلام هوالمحور

أحد الأهداف الهامّة التي يجب الاهتمام بها في هذه الثورات هو أن لا يخرج الإسلام من محورها. **الإسلام يجب أن يكون هوالمحور.**

المحوريجب أن يكون فكرالإسلام وشريعة الإسلام. حاولوا أن يوحوا بأن الشريعة الإسلامية لاتنسجم مع التطوروالتمدّن. هذا كلام العدوّ. كلّاإنها تنسجم تمام الانسجام.

طبعًا في العالم الإسلامي ليسوا بقليلين أولئك الذين استطاعوا، بروح التحجروالرجعية والجمود وعدم القدرة على الاجتهاد، أن يقدّموا مصداقًا لكلام العدوّ هذا ويسعون لإثباته. هؤلاء مسلمون لكنهم في خدمة أولئك الأعداء. وفي أطرافنا نحن يوجد مِنْ مِثلِ هؤلاء في بعض هذه البلدان الإسلامية.يحملون اسم الإسلام لكن الإنسان لا يشاهد فيهم ذرةً من فكرجديد ونظرة جديدة وفهم جديد للمعارف الإسلامية. الإسلام مِلْكٌ للعالم بأجمعه، الإسلام مِلْك للدنيا على مرّالقرون والأعصار. الإسلام يلبي حاجات كل عصور التطور البشري. لابدّ أن نعلي صوت الفكرالذي يستطيع به الإسلام أن يلبّي تلك الحاجات.**هناك من لا يملك هذا الفكر. لا يعرف سوى أن يكفّرهذا ويفسّق ذاك، ثم يسمون أنفسهم مسلمين. وفي النهاية يرى الإنسان أحيانًا أن هؤلاء يتغذّون مع عملاء الأعداء من مَعْلَف واحد! لنضع الشريعة الإسلامية والفكرالإسلامي محورًا لنشاطاتنا، هذا أحد الأهداف.**

بناء النظام

واحد من الأهداف الأخرى بناء النظام.لوأن هذه البلدان التي

ثارت لم تشهد بناء النظام فإنّ الخطريتهددها. في بلدان شمال أفريقيا نفسها عندنا تجربة تعود إلى العقد الرابع والخامس من القرن العشرين. في تونس نفسها حدثت نهضة،وتولّى الأمرهناك جماعة، وفي مصرنفسها حدث انقلاب، وحدثت نهضة، وتولّى الأمرأناس، وهكذا حدث في بلدان أخرى، لكنهم لم يستطيعوا بناء نظام. وهذا أدّى إلى انتهاء تلك الثورات، وليس هذا فحسب، بل إن أولئك الذين تولوا الأمورباسم تلك الثورات قد تغيّروا تمامًا، وتغيّرموضعهم مائة وثمانين درجة، وجَنَوا على أنفسهم، حدث ذلك في تونس وحدث أيضًا في مصر، وحدث في السودان آنئذ.

قبل نصف قرن تقريبًا كنت مع بعض أصدقائي في مدينة مشهد نستمع إلى إذاعة صوت العرب من القاهرة،وكانت الإذاعة تبثّ خطب اجتماع ضمّ جمال عبدالناصرومعمرالقذافي والنميري. الثلاثة خطبوا. وكنّا آنذاك نعيش تحت ضغوط الاستبداد والدكتاتورية، ولذلك كانت تلك الخطب الحادّة والنارية تثيرفينا الهياج والحماس. ونشعربلذة لاستماعها . طيب، عبدالناصرفارق الحياة، رأيتم ماذا فعل خلفاؤه، ورأيتم كيف أصبح القذافي، والنميري واضح كيف صار. وتغيّرت تلك الثورات نفسها. **ذلك لأنهم لم يكونوا يملكون فكرًا ولم يستطيعوا بناء نظام** . لابدّ أن تشهد البلدان التي ثارت بناء نظام، لابد من إيجاد قاعدة مستحكمة. هذه إحدى المسائل المهمة.

القاعدة الجماهيرية

واحدة أخرى من المسائل الهامة: صيانة الدعم الجماهيري. لا يجوز الانقطاع عن الشعب. الناس لهم مطالبات،ولهم احتياجات، والقوة الحقيقية بيد الجماهير.

حيثما كان المواطنون متضامنين ، وحيثما كان الناس على قلب واحد، وحيثما كان الشعب يقف خلف المسؤولين والقادة بانسجام، عندئذ لا تستطيع أمريكا ولا أكبر من أمريكا أن ترتكب أية حماقة. لابدّ من حفظ الجماهيروصيانة تواجدها في الساحة، وهذا ما يمكن أن تحققوه أنتم. يحققه المثقفون والكتاب والشعراء، ويحققه علماء الدين وهم أكثرتأثيرًا. **على علماء الدين الذين يقع على عاتقهم واجب ثقيل أن يبينوا للناس ويوضّحوا لهم الأهداف، وفي أي نقطة هم من الطريق يقعون ،أن يبينوا ماهي العقبات، ومن هو العدوّ، أن يحافظوا على وعي الجماهيروبصيرتها. عندئذ لا يستطع العدو أن ينزل أية ضربة.**

إعداد الشباب

المسألة الأخرى إعداد الشباب علميًا. لابدّ للبلد الإسلامي أن يتطور في العلم والتقانة. ذكرنا إن الغرب وأمريكا استطاعا أن يفرضا هيمنتهما على العالم بفضل العلم. أحدى وسائل هذه الهيمنة هو العلم. والثروة اكتسبوها بالعلم. طبعا اكتسبوا مقدارًا من هذه

الثروة بالخداع والخبث والدسيسة. لكن العلم كان له دورأيضًا، **لابدّ أن نرتقي في سلم العلم**. روي أن «العلم سلطان، من وَجَدَه صال،ومن لم يجده صِيل عليه». لابدّ من التزوّد بالعلم. حين تتزودون بالعلم سوف يقوى ذراعكم، و إذا لم تتزودوا بالعلم فإن أصحاب الأذرع القوية سوف يلوون أذرعكم. **شجعوا شبابكم على العلم**. هذا العمل ممكن. لقد مارسناه في إيران. كنا قبل الثورة في نهايات القائمة العلمية في العالم، ولم تكن الأنظارتتوجه إلينا. واليوم ببركة الثورة ،وببركة الإسلام، وببركة الشريعة، فإن الذين يتابعون تقويم التطورالعلمي العالمي قالوا: **إن إيران تحتل اليوم المرتبة العلمية السادسة عشرة في العالم، ونشروا ذلك. كان هذا قبل عدة أشهر. وتلك المراكزنفسها نشرت توقعاتها بشأن السنوات القادمة وقالت إن إيران بعد عدة سنوات، عشرأو أثنتي عشرة، سوف تكون مرتبها الرابعة في الجدول العلمي للعالم**.وهذا يعود إلى أن التعجيل العلمي في إيران متزايد. نحن طبعًا لا نزال متخلّفين جدًا عن العالم. سرعة تقدمنا تبلغ أضعاف معدل السرعة العالمية، ولكننا مع ذلك متخلّفون. لو تقدمنا بهذه السرعة فسوف نبلغ مقدمة الركب بإذن الله تعالى.

هذه الحركة يجب أن تتواصل في دنيا الإسلام. البلدان الإسلامية تمتلك كفاءات،عندنا شباب جيدون، وعندكم شباب جيدون. هذه كفاءات جيدة.

فـي حقبـة مـن التـاريخ كـان العلـم العـالمي فـي حوزتنـا نحـن المسلمين، لماذا لا يكون الحال اليوم كذلك؟

لِمَ لا نتوقع أن يكون العالم الإسلامي بعد ثلاثة عقود مرجعًا عالميًا للعلم بحيث تصبح البلدان الإسلامية مرجعًا للمسائل العلمية؟! هذا مستقبل ممكن.لنشحذ هِمَمَنا، ولنصّعد مساعينا. كل هذا يتحقق ببركة الإسلام وبركة الثورة. **النظام الديني أثبتَ أنه يمكنه أن يحقق مزيدًا من السرعة والتعجيل.**

الوحدة الإسلامية

ثمة مسألة أخرى هي مسألة الوحدة، والوقت اقترب من الظهر ولابدّ أن نغادر للصلاة. أقول لكم أيها الإخوة والأخوات إن الوسيلة التي يمكن أن تكون فعّالة مؤثرة في يد أعدائنا، وهم يستفيدون منها أكثر ما يمكن، هي بثّ الاختلافات. الاختلاف بين الشيعة والسنّة، بين القوميات، بين الفئات، و إثارة التفاخر الخاطئ. **مسألة الاختلافات بين الشيعة والسنّة يسعون لتضخيمها** . يسعون لإثارة الاختلافات. ترون أنهم في نفس هذه البلدان التي ثارت يثيرون الاختلافات. وفي بقاع أخرى من العالم الإسلامي يثيرون الاختلافات، **لابد أن يتحلّى الجميع باليقظة.لابد أن يتحلّى الجميع بالوعي**. يجب أن نرصد تحرّكهم. هؤلاء يستفزون،أجهزتهم التجسسية منهمكة في نشاطاتها. يخربون ما استطاعوا. في قضية

فلسطين خرّبوا ما أمكنهم التخريب، طبعًا فشلوا ، نحن الآن نتقدم، العالم الإسلامي يتقدم.

ما حدث أخيرًا في فلسطين هو على غاية من الأهمية. بين غزّة وبين الكيان الصهيوني، الذي يدّعي امتلاك أقوى جيش في المنطقة، دارت رحى حرب استمرت ثمانية أيام.ثم حين أريد وقف إطلاق الناس فإن الفلسطينيين هم الذين أملوا شروط وقف إطلاق النار! هل كان أحد يصدّق ذلك؟لو قال أحد ذلك قبل عشرة أعوام، مَن الذي كان يصدّق أن يأتي يوم تنشب فيه حرب بين الفلسطينيين، وليس كل الفلسطينيين بل بين جماعة من الفلسطينيين أعنى أهل غزّة، وبين الكيان الصهيوني، ثم إن الفلسطينيين يفرضون شروطهم لوقف إطلاق النار؟!

بورك الفلسطينيون! بوركوا! بوركت حماس والجهاد والفصائل الفلسطينية التي حاربت في فلسطين، في غزّة وأبدت شجاعتها!هذه هي الشجاعة.إنني بدوري أشكر كل المناضلين الفلسطينيين لما قدموه من تضحيات ولما بذلوه من جهود، ولما أبدوه من صبر.فقد رأوا ﴿إن مع العسر يسرًا﴾ . كما أننا صبرنا فمنّ الله سبحانه علينا بالفَرَج، هؤلاء أيضًا صبروا، صمدوا، فنالوا فَرَج الله سبحانه هذا درس، إنه درس لهم أيضًا، وهو درس لغيرهم كذلك. لا تستهينوا بهذه الوحدة بين المسلمين، إنها مسألة مهمة.

ما ذُكر في هذا المجلس بشأن سكوت العالم الإسلامي تجاه

البحرين هو صحيح. ما يجعل بعضهم يسكت تجاه هذه القضية هو ـ مع الأسف ـ هذه المسألة الطائفية. **أي إن شعبًا لو ثار ضد حكومته الفاسدة فيجب الدفاع عنه إلاّ إذا كان ذلك الشعب شيعيًا مثل شعب البحرين .عندئذ لا ينبغي الدفاع عنه!**

هذا المنطق موجود عند بعضهم، هذا ما يجب تجنبه.

يجب معرفة العدو، ويجب معرفة آليات العدوّ. يجب معرفة مكائد العدوّ، ومن أين ينفذ. نحن اتخذنا من قضية سوريا موقفًا منطلقًا من هذه النظرة. نحن نرفض إراقة حتى قطرة دم واحدة من أي إنسان مسلم، ويعتصرنا الألم لذلك. نحن نقول إن المقصرين هم الذين يجرّون سوريا إلى حرب داخلية. أولئك الذين جرّوا سوريا إلى الدماروالاقتتال بين الإخوة هم المقصرون. كل مطاليب الشعب يجب تنفيذها بالطرق المتعارفة العادية وبدون هذا العنف.

أسأل الله سبحانه أن يهدينا جميعًا، وأن يبارك لكم مسيرتكم. أسأله تعالى أن يوفّق هذه الصحوة العظيمة في دنيا الإسلام لتحقق مستقبلا وضاءً مباركًا للأمة الإسلامية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الربيعان

ربيع المولد وربيع انتصار الإسلام في إيران

محسن الأراكي *

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

مولد رسول الله(ص) بداية حركة إنسانية كبرى غيّرت وجه التاريخ، ورفعت البشرية من أهدافها الصغيرة التافهة إلى الأهداف الإلهية الكبرى.

على صعيد الجزيرة العربية كانت المعادلات المتحكّمة في سلوك القبائل هي الغلبةُ بالقوّة والقهروالسلبِ والنهب والاستعباد، والهدف النهائي لها الحصول على اللذة الحسيّة و إشباع الغرائز الهابطة، والمظهرالمشهود لهذا السلوك هو الحروب الطويلة المعروفة بأيام العرب، والعداوات التي تتحول بين حين وآخر إلى نزاعات تسلبُ فيه الأموال وتُنتهك الأعراض، ويعقبها مطالبة بالثأر.. وجاء الإسلام

---

* ـ الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

فأوجد (أمة) تحمل عقيدة الحركة نحو الله سبحانه، وتنطلق حاملة رسالة إلى العالمين لتخرجهم من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهّار.

مولد رسول الله(ص) هو مولد أمة، ومولد رسالة، ومولد حركة إنسانية متواصلة حتى يرث الله الأرض ومَنْ عَليها.

وعلى الصعيد العالمي كانت العلاقات تقوم أيضًا على أساس القهروالغلبة بين الروم والفرس، وبين الأحباش واليمن، بل وبين فئات الروم، وفئات الفرس أنفسهم. وهذه الحالة البائسة التعيسة للبشرية آنذاك كانت في انتظارمولد الرسول الذي يضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم.

لقد خطت البشرية بعد الولادة المباركة للرسالة الإسلامية خطوات كبرى على طريق العلاقات الإنسانية وتطوّرالمعارف البشرية وتكريم الإنسان، لكنّ الطريق لا يزال أمامها طويلاً كي يتحقق بها المجتمع الإنساني الأمثل على ظهرالأرض.

وفيما قطعته الرسالة الإسلامية من أشواط في تاريخها فقد أثمرت الشجرة الطيبة لكلمة الإسلام عن مآثرعظمى نراها في الحركة العلمية خلال عصور الازدهارمن الأندلس حتى ما وراء النهر، وفي الانتفاض الجماهيري على جميع ألوان إهدار كرامة الإنسان.

لقد حاول الغزو الاستعماري لبلاد المسلمين أن يجفّف جذورهذه الشجرة المباركة بوسائل مختلفة، منها القمع والسيطرة وفرض

الإرادة المتجبّرة، ومنها إقناع المسلمين بضرورة التخلّي عن الارتباط بجذور تلك الدوحة، مستخدمًا لذلك أحدث وسائر التدمير البشري والفكري والشعوري.

لكنّ التاريخ أثبت أن تلك الكلمة «الطيبة» التي جاء بها رسول الإنسانية إلى هذه الأمة هي كالشجرة الطيبة أصلها ثابت في ضمائر الأمة وقلوبها، وفروعها تتجه إلى الكمال المطلق، ثم إنها تؤتي أُكُلها كل حين بإذن ربها.

ومن هذه الثمار البارزة في حياتنا المعاصرة كان الانتصار الإسلامي الكبير في إيران.

لقد كان هذا الانتصار إلهيًا بكل المعايير. فهو قضاء على أعتى قوة إقليمية مدعومة بأعتى قوة عالمية، على يد قائد لا يملك من دنياه إلاّ «الكلمة» الطيبة.

الإمام الراحل الخميني رضوان الله تعالى عليه أطلق كلمة ذات علاقة بالجذور الثابتة وبالفروع المتكاملة النامية المتصاعدة حتى السماء. فجمع بين الأصالة والمعاصرة، وحرّك بلدًا أراد المستعمرون أن يكون قاعدة لمكرهم، فأتى الله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون.

إنّ الكلمة الطيبة التي منّ الله بها على البشرية عن طريق رسوله الأكرم تتواصل في تقديم العطاء ضمن إطار صحوة بدأت تعمّ المسلمين بعد قرون من الركود والخنوع، وبدأت تتجلّى في مقاومة

بعد قرون من الهزائم والإحباط، وبدأت تسفر عن وحدة وتقريب بعد قرون من التشتت والتمزق والتفرّق، ولكن ـ كما قلنا ـ لا يزال الطريق طويلا، للتغلب على التحديات والعقبات ومخلّفات عصور التخلّف والانحطاط. لا يزال الطريق طويلًا لسقوط الفراعنة الطغاة المسيطرين على مصالح البشرية، والمتلاعبين بمقدرات الأمم.

غير أننا قد نراه بعيدًا ويراه سبحانه وتعالى قريبًا. وربّما يصبح في أنظارنا أيضًا قريبًا إذا استعدنا ذكريات انتصار الثورة الإسلامية في إيران وانتصار المقاومة الإسلامية في فلسطين ولبنان، وانهيار معسكر الإلحاد الشرقي، و إذا قرأنا بدقة إرهاصات انهيار معسكر الطغيان الغربي. وما ذلك على الله بعزيز.

عوامل تذويب هوية الأمة
وسبل مواجهتها

محمد علي التسخيري *

متى ينطرح السؤال؟

عندما تهاجم أمّة ذات وعي وموقف من الكون والتاريخ والإنسان ولها إيديولوجيا حياتية مستوعبة ممّا ينتج تماسكًا هو من صميم فكرها وشخصيتها، فيراد لها أن تغرق في اللاأبالية، ويستهدف تماسكها، وعندما يتمّ العمل على فصل الواقع عن جذوره التاريخية العريقة ومبانيه العقائدية، وخصوصياته المحددة،وعندما يخطط الأعداء كي يميتوا العقل الجمعي والثقافة العامة والترابط الشعوري والتناسق السلوكي، وعندما يراد قهرالإرادة وتفتيت الوحدة وكسرالمقاومة، وعندما يُعمل على دفع أية أمّة للتردي في وهدة الحالة الفولكلورية والسطحية لينتج من ذلك إمّا التمجيد والنرجسية الفارغة أو التعصب والعنصرية (وفي كلتا الحالتين ستكون النتيجة هي التقهقر

---

* – المستشارالأعلى لقائد الثورة الإسلامية في العالم الإسلامي ورئيس المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

والتراجعية والتطرف فكرًا وثقافة واجتماعيًا كما يعبر الدكتور فتحي التريكي.

نعم عندما يتآمر العدو على أمّة ما يبرز سؤال (الهوية) أو (الهوهوية) كما يعبر بعض الفلاسفة.

والهدف الواقعي هو معرفة حقيقة الأمة كما هي، ومعرفة حدود هذه الحقيقة ومشخصاتها، دونما إغراق في التعميم والنمطية بحيث تتحوّل إلى حقيقة سيّالة ووجود منفتح، ولا تفريط بمعالم الشخصية وتضييع لفرديتها وتشخّصها الذي يمنحها ما تمتاز به على غيرها.

ما هي الهوية على صعيد الأمة؟

يطرح الفلاسفة حقيقة لا ريب فيها هي أنّ المفاهيم الكلية تبقى ذهنية فإذا أريد لها أن تدخل عالم الوجود تشخّصت بحدودها وتعيّنت بمميزاتها الوجودية ولكنها على أي حال لها هويتها في المرحلتين وهي تنطرح في الإجابة على سؤال ما هي أو ما هو؟ بل لا يمكن أن نتحقق من كون هذا الذي وجد هو مصداق لذلك المفهوم إلا إذا كنا نعرف أبعاد المفهوم نفسه.

ولذا يكون السؤال ما هي أبعاد مفهومنا عن ماهية الأمة الإسلامية نظريًا؟ له الأسبقية على سؤال ما هو واقع هذه الأمة ومدى انسجامه مع الصورة النظرية؟

وما نتصوّره لهذه الأمة نظريًا يتأطر بالإطار التالي:

أولًا: تجمّع بشري يؤمن بتمييز الإنسان عن سائر الموجودات الحية بخصائص فطرية لا تتوفر بمجموعها فيها هي:

أ ـ العقل بأحكامه النظرية والعملية، وقدرته على التخلّص من سيطرة الواقع الحسّي وتأثيراته من خلال إدراكاته المتخيّلة والموهومة والمستنبطة بالإضافة لمحسوساته التي يتجاوزها لتكوين المفاهيم الكلية التي يسرح بينها ليعود إلى الواقع المحسوس ويدرسه ويلاحظ نقاط القوة والضعف فيه، وليفترض صورة جديدة تتخلّص من نقاط الضعف وتحتفظ بنقاط القوة،وليرسم لنفسه خارطة توصله للصورة النموذج، وحينئذ تبدأ عملية التغيير من خلال دوافع العلة الغائية ولذا يمكن أن يمتاز الإنسان بكونه الحيوان المغيّر.

ب ـ الغرائز والميول، وهي دوافع عمياء تشاركه في بعضها الأحياء الأخرى ويختص هو بميول متعالية (كالشوق إلى الكمال وحب الاستطلاع والتدين وأمثال ذلك).

ج ـ الإرادة الحرة التي تقرّر الموقف بمسؤولية مهما اشتدّت الضغوط العقلية والعاطفية.

ثانيًا: ويؤمن بالله تعالى خالقًا للكون مدبرًا له وبكل صفاته الحسنى الجمالية والجلالية، وبالأنبياء والرسل وآخرهم الرسول الأكرم محمد (ص) الذي جاء بالرسالة الخاتمة الخالدة قادة للتاريخ الإنساني ومبلغين لشرائع الله الهادية إلى مدارج الكمال، وبالقيامة معادًا لهذه المسيرة ممّا يعطيها هدفية ومعنى، ولكل هذه المعتقدات فروع كثيرة تستفاد منها منطقيًا.

ثالثًا: ويؤمن برسالة إسلامية تنظّم الحياة وتبني المجتمع وتربّي العقل والعواطف وتوجّه السلوك كله نحو الكمال وتتصف بالواقعية والأخلاقية والتوازن والمرونة والشمول والعدالة والوسطية إلى ما هناك من صفات منسجمة.

رابعًا: ويؤمن بضرورة المساهمة في المسيرة الحضارية الإنسانية وامتلاك دورطليعي فيها، عبرانفتاح على الحضارات والثقافات وتشجيع على التقدم، واتخاذ منهج حواري منطقي مع الآخر، وتعاون عالمي في كلّ ما يخدم الصالح الإنساني العام ويدفع الظلم والعدوان على الحقوق وينصرالمستضعفين ويحقق السلام العادل.

موارد الحذر

وفي مجال تحديد الهوية يجب الحذرمن الجوانب السلبية وأهمها:

أ .السقوط في مفهوم ذاتوي متعال، ونرجسية تصعيدية لا مبرّر لها، ونمطية تهدّد كلّ أنواع الحواروتنظرلنفسها على أنّها نهاية التاريخ ومنتهى التقدّم تمامًا كما نشهده عند الليبرالية الديمقراطية ومنظريها اليوم، فهم مهما اختلفوا في الوسائل، أهي الصراع أو التنافس، يتفقون على أنّ المسارالحضاري يجب أن تتجه بوصلته نحو (الليبرالية الديمقراطية) لا غيروحتى أولئك الذين يبدون مرونة في التعامل مع الآخرالإسلامي فهم يبقون على الهدف ويخففون من قسوة الوسائل.

إنّ الهوية الإسلامية رغم قيمها الثابتة الفطرية تفسح المجال للاجتهاد الإنساني أن يقدّم إبداعاته التفصيلية، وحكمته العملية التنظيمية الإبداعية، ورغبته الاجتماعية المتغيّرة.

ب ـ السقوط في هاوية التفريط بالقيم الإنسانية الثابتة، وهو مرض قاتل للحضارة يعصف بالقيم والعقل والمنطق والحقيقة والمعرفة، وهو تمامًا ما سقطت فيه حالة ما بعد الحداثة الغربية.

إنّ الواقع الإنساني يحوي ثوابت قيمية هي سر انطباع أية مسيرة بشرية بالطابع الإنساني ومتغيّرات طبيعية من قبيل بعض علاقات الإنسان بأخيه الإنسان أو بالطبيعة، و إذا كان التعامل مع القيم ثابتًا فإنّ التعامل مع الجانب المتغيّر يتّصف بطابع المرونة.

وعليه، فنحن ندعو للمرونة الواقعية ونرفض الميوعة المفرطة، يقول الأستاذ الشهيد الصدر:

«فالتحرك الضائع بدون مطلق تحرّك عشوائي كريشة في مهبّ الريح، تنفعل بالعوامل من حولها ولا تؤثر فيها. وما من إبداع وعطاء في مسيرة الإنسان الكبرى على مرّ التاريخ إلا وهو مرتبط بالاستناد إلى مطلق، والالتحام معه في سيرها دف» غير أنّ هذا الارتباط نفسه يواجه من ناحية أخرى الجانب الآخر من المشكلة، أي مشكلة الغلو في الانتماء بتحويل النسبي إلى مطلق وهي مشكلة تواجه الإنسان باستمرار إذ ينسج ولاءه لقضية لكي يمدّه هذا الولاء بالقدرة على الحركة ومواصلة السير، إلا أنّ هذا الولاء يتجمّد

بالتدريج ويتجرد عن ظروفه النسبية التي كان صحيحًا ضمنها، وينتزع الذهن البشري منه مطلقًا لا حدّ له للاستجابة إلى مطالبه، وبالتعبيرالديني يتحوّل إلى إله يعبد بدلًا من حاجة يستجاب لإشباعها.

ويقول الأستاذ التريكي: «والفهم الموضوعي (لقضية الهوية في قبال الفهم الذاتوي) يحاول إقرارتناظروتناسق بين الهوية والعقل في صبغته المنفتحة والكونية في الآن نفسه، وهو يأخذ بعين الاعتبار ثوابت الوجود ومتغيّراته ويفتح الوجود على الحياة بتغيّراتها ومفاجآتها ونضالها وتوتراتها، فالذات في هذا الفهم مؤسسة للعقل والوعي المتحرك».

الصحوة الإسلامية الحاضرة ودورالعلماء

إن ما نشهده اليوم على مستوى العالم الإسلامي عمومًا وعلى صعيد العالم العربي بالخصوص يشكل بلاريب صحوة إسلامية رائعة حيث استعادت الشعوب وعيها بدورها الأصيل في صنع مستقبلها ورفض تحكم الطغاة في مصيرها وربطها بعجلة المصالح الغربية والصهيونية العالمية من جهة، ومن جهة أخرى أدركت دورها الذي أراده الله لها باعتبارها أمة شاهدة على الحضارة حيث قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ والملاحظ أن الآية تتحدث بهذه الروح العالمية في وقت يحاصرفيه الإسلام من قبل كل القوى المعادية.

إن كل المؤشرات على الساحة تؤكد على هوية هذه الصحوة، فالشعارات إسلامية والمنطلقات هي محال صلوات الجمعة والانتخابات تصب في مصلحة الإسلاميين.

وهنا ينبغي أن نذكّربدورالعلماء الواعين في قيادة هذه الحركة التغييرية و إعطائها المناعة الكاملة ضد كل عمليات التسلل والخيانة والانحراف، وترشيدها باستمرارلتصل إلى الهدف المنشود مختارة لسبل الخيرمتوكلة على الله.

إن الصحوة الإسلامية اليوم هي حالة طبيعية تعيشها الأمة رافضة كل مظاهرالتخلّف والانحراف والاستبداد والتبعية، ومن هنا ينبغي لكل العلماء في العالم الإسلامي أن يقوموا بواجبهم في ترشيد الصحوة في كل مكان وتقويتها لكي تصمد في وجه مؤامرات أعداء الأمة، ولتبقى على الخط الصحيح بعيدة عن الإفراط والتفريط محافظة على قوتها وزخمها وأصالتها.

كما ويجب أن يسعى العلماء إلى تطويرالوضع المعاصرللأمة إلى الحد الذي يحقق الصورة التي رسمها القرآن الكريم لها وعمل على تجسيدها رسول الله(ص) من حيث الإحساس بالأخوة الدينية، والتعاون على البروالتقوى والوقوف صفًا واحدًا أمام التحديات والتواصي بالحق والصبروالابتعاد عن التفرق والتنازع وكل ما يؤدي إلى وهن المسلمين وفشلهم.

ومن اللازم أن يقوم العلماء بواجبهم في توعية المسلمين ليشخصوا

عدوّهم المتمثل بالاستكبار العالمي والصهيونية الحاقدة وكل قوى الطاغوت بشتى أشكاله وبالتالي يجب أن يتحوّل التهديد الشيطاني إلى فرصة لاستعادة الأمة خصائصها وتقوية إيمانها بربها وثقتها بالنصر.

وأخيرًا؛ يجب توعية الجماهير الإسلامية بواجباتها تجاه بعضها البعض ولزوم أداء الحقوق وتحقيق التكافل الاقتصادي والتلاحم الاجتماعي والدفاع عن المقدسات والجهاد الواعي صفًا واحدًا ضد أعداء الأمة.

مشروع لدراسة السيرة النبوية
في الإطار الحضاري

محمد علي آذرشب *

إن سيرة الرسول فيها من دروس الوحدة وتقريب القلوب ما يستطيع ـ لو أنزلناه إلى ساحة العمل ـ أن يجعل منّا أمة واحدة تتعالى على الصغائر وتسمو إلى الأهداف والمقاصد الإسلاميّة الكبرى.

كنت في أحد مواسم الحج في مكة المكرمة حيث أقيمت ندوة الحج الكبرى تحت عنوان "التيسير في فريضة الحج" وكان المتحدثون مجمعين على أن التيسير أصل فقهي تقوم عليه شعائر الدين بأجمعها بما في ذلك مناسك الحج مستندين في ذلك إلى ما كرّره رسول الله(ص) مرارًا في حجّة الوداع: "افعل ولا حرج".

ثم كان المجتمعون يعرضون صورًا من حج الصحابة والتابعين وما كانوا يلتزمون به من منهج التيسير، إلى جانب ذلك عرضوا صور ما آل إليه حج المسلمين اليوم من تزاحم وتدافع وهجوم على الجمرات

---

* ـ أستاذ في جامعة طهران.

وعلى استلام الحجر، والحوادث المؤلمة التي تنتج عن ذلك، كما عرضوا للفتاوى التي تعسّر الحج ولا تيسّره، وتزيد من التدافع والزحام ولا تفضّه.

وكان لي في إحدى الجلسات سؤال قال عنه بعض الإخوة الحاضرين إنه يلخّص كلّ مشاكلنا الراهنة.

سألت: ما السبب في تحول منهج التيسير عند الصحابة إلى منهج تعسير وتشديد عندنا؟ ألا يعود ذلك إلى عامل حضاري هو أن الجيل الإسلامي الأول كان قد وضع أمامه رسول الله (ص) أهدافًا كبرى ومقاصد عليا، وكان همه الأول هو تحقيق رضا الله سبحانه عن طريق تحقيق تلك الأهداف والمقاصد، بينما حياة المسلمين الراهنة قد خلت من تلك الأهداف والمقاصد الكبيرة، فرحنا نبتغي رضا الله سبحانه في تكريس الذهن والفكر والفقه على مسائل الطهارات والنجاسات وطريقة تحريك الأصبع في الصلاة وموعد رمي الجمرات؟!

كان ذلك السؤال سببًا لقرار صدر في البيان النهائي بشأن ضرورة دراسة الحج في الإطار الحضاري.

هذه الحقيقة.. حقيقة ضرورة دراسة السيرة النبوية المباركة ضمن إطار المشروع الحضاري الإسلامي وددت أن أطرحها في هذا المؤتمر الموقّر عسى أن تتبلور في إطار قرار ومشروع عمل يتواصل بعد هذا المؤتمر بإذن الله تعالى.

لكي أوضّح ما ذكرت أشيرإلى أن مقصد الإسلام الأوّل هو "الإحياء": ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ للّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ والتأكيد على ذكرالرسول بعد الله في الآية هو تأكيد على المنهج الإحيائي في سنة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

والحياة يستتبعها نموّ وحركة تكامليّة.. وهكذا كان الجيل الإسلامي الأول.. فتحرك في جميع مجالات حياته أفقيًا ليمتدّ على ظهرالمعمورة وعموديًا ليفكّرويبدع وينتج.. وعظمة هذه الحركة نستطيع أن نفهمها أكثرحين نقارن بين حياة العرب قبل الإسلام حيث لا تطويرولا تقدّم ولا حركة تكاملية، و إنّما حياة تكرارية تراوح في مكانها، وبين حياة العرب بعد الإسلام.

وهذه الحركة التكاملية أدّت إلى نشوء حضارة يعترف بها كل العالم من حيث عظمتها ومن حيث تميّزها الإنساني.

من هنا فإن تفعيل سنة رسول الله(ص) في مجتمعنا ينبغي أن نفهمه على أساس إحيائي.. الإحيائيون وحدهم هم المتمسّكون بالسنّة النبوية، أما الذين يشغلون الناس بخلافات هامشية وجانبية باسم السنّة النبوية فماهم بإحيائيين ، ولا منهجهم من منهاج السنّة النبويّة الشريفة.

ولإن ذكرت سؤالي في ندوة الحج الكبرى، فلأذكرنّ أيضًا حديثًا مقتضبًا أدليت به في إحدى الجلسات المسائية التي عقدها القائمون على الندوة في منى. طلب منى الإخوان في المجلس

مشكورين أن أتحدث عن الأخوّة الإسلامية، فخطرأول ما خطرفي ذهني قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾.

الآية الكريمة تتحدث عن أهل الجنّة طبعًا، ولكن فيها إشارة هامة إلى أنّ الأخوّة تتحقّق في ظل "نزع الأغلال من الصدور"، وهذه الحقيقة لها مصاديقها في هذه الدنيا أيضًا.

ومهمّة رسول الله(ص) الأولى هي أنه ﴿يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ والاغلال هي القيود التي تعيق حركة الإنسان والمجموعة البشرية على طريق كمالها وحياتها. الأغلال تحوّل الحياة إلى موت، والحركة إلى سكون، والتطويرإلى تكرار، والسيرإلى مراوحة في المكان.

الأغلال تنطلق من طبيعة الطين التي خُلق منها الإنسان، و إن طغت فإنها تصادر"نفخة روح رب العالمين" في هذا الموجود المكرّم.

والأغلال القائمة في حياة البشرية أنواع بحسب ظروفها التاريخية والمعيشية. واليوم نرى الأغلال القوميّة والأغلال الطائفية والأغلال الحزبيّة والأغلال العشائرية و.. أنواع الأغلال الأخرى استفحلت في حياتنا وكلها أغلال الذاتية والأنانية لتمزّق أمتنا ولتجعلها عرضة للناهب وقصعة للآكل.

ولا يخفى ما كان للنهج النبوي من موقف صارم تجاه هذه الأغلال، فقد كان يقف بقوّة أمام أي إطارقَبَلي يريد أن يعيد

عصبيات النزاعات الجاهلية، ويردّ بقوّة على أي تعصّب قومي أو إثني.

ومن محاور النهج الحضاري في السيرة النبوية الانفتاح على الآخر، فقد أقرّت السيرة كلّما كان صالحًا وطيبًا عند العرب الجاهليين، ولم ترفض كلّ ما عندهم، وهذا النهج سرى إلى سيرة الصحابة والتابعين في تعاملهم مع الشعوب الأخرى التي دخلت الإسلام.

ومن هذه المحاور أيضًا الحثّ على التعلّم والتعليم والتفكير والعمل والإنتاج والاكتفاء الذاتي.

ومن هذه المحاور ولعلّه أهمّها غرس الشعور بالعزّة والكرامة في نفس الإنسان المسلم ونفوس الجماعة المسلمة، وأودّ أن أقف عند هذه النقطة لاعتقادي أنها أصل أصول الدين، وأنها مغيّبة إلى حدّ كبير في حياة المسلمين ومستهدفة إلى حدّ كبير من قبل أعدائهم المتربّصين.

لا يخفى ما أعارته السنة النبوية من أهمية لكرامة الإنسان وحرمته وعزّته، فقد تظافرت نصوص الحديث والسيرة بشأن كرامة الجنين والطفل والشاب والشيخ والميّت، وبشأن تفويض الأمور للإنسان كلّها إلاّ أن يكون ذليلًا، وبشأن النهي عن ممارسة كل عمل يحطّ من كرامة الإنسان ويوهنه حتى ولو كان من الواجبات، وبشأن وجوب ممارسة كل عمل يعزّ الإسلام والمسلمين، والإعراض عن كل عمل من شأنه أن يوهن الإسلام ويوهن من سمعة المسلمين.

وعلى هذا النهج سار الصحابة والتابعون وأئمة أهل البيت، فقدمّوا كل غال ونفيس من أجل الحفاظ على كرامة المسلمين وصيانة روح العزّة في المجتمع الإسلامي، حتى أصبح شعار "هيهات منّا الذلة" يلخّص هدف ثورة الحسين والثوار الرساليين على مرّ التاريخ إلى يومنا هذا.

وهذا التركيز الكبير على عزّة الإنسان وكرامته يرتبط بالإحياء، فالإنسان العزيز حيّ، والذليل ميّت. المسألة حضارية إذن ترتبط بحركة الإنسان التكاملية.

ولو أردنا تفسير ذلك على ضوء النظرة الإسلامية للإنسان، فإن العزّة في الإنسان تعني حركته نحو العزيز المطلق وهو الله سبحانه وتعالى، والذلة هي نكوصه عن هذه الحركة. والإنسان في النظرة الإسلامية خُلق لأن يتحرك نحو مَثَلِهِ الأعلى المطلق سبحانه.

ولأن العزّة حياة، فالمجتمع الذي يستشعر العزّة تترابط أجزاؤه برباط عضوي حتى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى، أما المجتمع الذليل فمفكّك متشرذم، والتفكك والتشرذم يؤدي إلى النزاع والصراع حتمًا، لعدم وجود الوحدة العضوية في ذلك المجتمع الذي تحسبه واحدًا وقلوب أفراده شتّى.

من هنا نفهم أن مشروع التقريب بين المذاهب أو القوميات أو الشعوب لا يمكن أن يحقّق نجاحًا في جوّ يسوده الإذلال، لابد من سيادة روح العزّة في نفوس أبنائه. ومن نظرة واحدة على وصيّة

الإمام الخميني فقط يتبين لنا مدى اهتمام هذا القائد الراحل بمحور عزّة الأمة.

وقد لانجانب الصواب إذا قلنا إنّ ما يجري اليوم في العراق ـ على سبيل المثال ـ من تمترس طائفي إنّما هو ـ في جزء منه على الأقل ـ إفرازلسنوات طويلة من الإذلال فرضت على الشعب العراقي سنة وشيعة بل حتى على أعضاء حزب البعث العراقي، بل حتى على المقربين من رئيس النظام العراقي السابق لسنوات طويلة، والإذلال قد نجد له تاريخًا أطول في العراق يعود إلى العصرالعثماني.

وهنا ألقي الضوء قليلًا على محاولات إذلال الأمة الإسلامية في عصرنا الراهن. لقد شعرت الأمة الإسلامية بحالة الذلّ والهوان منذ قرون عديدة نتيجة طغيان الأجهزة الحاكمة فيه، ونتيجة الهجمات المتوالية التي تعرضت لها من الغُزّوالمغول والصليبيين، لكن الإذلال الأكبرحدث حين سقط العالم الإسلامي أمام الغزو الغربي، فتجاه هذا الغزو حدثت هزيمة عسكرية وداخلية. وجاء مشروع إقامة دولة الصهاينة في قلب الإسلامي لتكريس هذا الإذلال، وعمليات الإذلال مستمرّة إلى يومنا هذا.

إحدى صورالإذلال تفويت الفرص وتحويلها إلى تحديات. أية فرصة تتاح للعالم الإسلامي يستعيد فيها عزّته تُصادربسرعة، والوتر الطائفي من أشهرعمليات المصادرة هذه. وليست تجربة الثورة الإسلامية في إيران عنّا ببعيدة، فانتصارها بعث موجة من العزّة

كادت أن تعيد الأمة إلى حياة جديدة، لكنها حوصرت وفُرضت عليها حربٌ ضروسٌ تحت عنوان محاربة "الفرس المجوس"، وفي أفغانستان توفّرت ظروف هائلة لاستعادة العزّة بعد انتصار الفصائل الإسلامية على ثاني قوة كبرى في العالم وهي الاتحاد السوفيتي السابق، لكنهم حوّلوا هذا الانتصار إلى مأساة كبرى في هذا البلد المغلوب على أمره. وفي العراق توفّرت ظروف لأن يتولى الأمور فتية آمنوا بربهم تربّوا في مدرسة الشهيد الصدر، وقدّموا قوافل الشهداء من أجل عزّة أمتهم، لكنهم واجهوا حربًا مدمّرة لاتزال مستمرة تحت عنوان محاربة "الصفويين". وفي لبنان سجلت المقاومة الإسلامية واحدًا من أروع الانتصارات في تاريخ المسلمين على أعتى عدوّ، لكنّ هذا الانتصار الذي اعترف به الصهاينة تنكّر له من تنكّر وحوّلوه إلى مواجهة طائفية أيضًا.

و إحدى صور الإذلال ما يعرض على العالم الإسلامي في بعض الفضائيات الناطقة بالعربية وبغيرها من لغات العالم الإسلامي. برامجها تتجه نحو تكريس الإذلال، عن طريق إضعاف المعنويات وتطبيع عملية الخضوع للعدوّ، و إبراز وجه العالم الإسلامي على أنه صراع دموي لا يهدأ ليل نهار باسم الدين، وعلى أنه ساحة للخرافات والشعوذة والتكفير ورفض الآخر باسم الدين أيضًا. وكل ذلك يكرّس حالة الإذلال.

من هنا فنحن بحاجة إلى بلورة مشروع آخر ضمن مشروع دراسة

السيرة النبوية في إطار حضاري، هو دراسة العزّة في السيرة النبويّة.

والدراسة في هذا المجال يمكن أن تعين العاملين في حقل التربية والتعليم والإعلام على نشر ثقافة العزّة، وكلّ منا بحاجة إلى هذه الثقافة في التعامل مع زوجه وأبنائه وأصدقائه وطلابه ومراجعيه، وبمن يتعامل معه يوميًا.

وقضية العزة أساس حضاري هام وعامل إحيائي كبير، فطن إلى أهميته الفكر الإنساني على مرّ التاريخ ابتداء من أفلاطون إلى فوكوياما في عصرنا الراهن. وعسى أن يعيه المسلمون ويعتبروه بداية لابدّ منها للتقريب وللحياة وللاستئناف الحضاري.

عناصر ومرتكزات
وحدة الأمة المسلمة

محمد عثمان صالح *

عناصروحدة العمل الإسلامي :

أول هـذه العناصـر: وحـدة المصـدر الذي يجمع هذه الأمة وهو الوحي قرآنًا وسنة على ما أجمعت عليه الأمة من تقديس القرآن الكريم والحفاظ على نصوصه وفقًا للقراءات السبع المجمع عليها، وعلى ما تضمنه المصحف الشريف الذي ينشرفي طول العالم وعرضه .

أيضًا من هذا العنصرالموحى به للرسول الكريم ما صحّ من الحديث وفقًا لتصحيح العلماء من أهل المذاهب المعتبرة، وهنا مجال للبحث المعمق في مشتركات الأحاديث الصحيحة حول أركان الإيمان وأركان الإسلام وصحيح المعاملات والمجمع عليه من الأخلاق.

---

* - الأمين العام لهيئة علماء السودان.

ثاني هذه العناصر: وحدة العقيدة الإسلامية :

ومن حسن التوفيق أن كل المسلمين يؤمنون بوحدانية الله تعالى ويؤمنون برسوله محمدًا (ص) خاتمًا للأنبياء والمرسلين، ويؤمنون بكل الرسل. ويؤمنون بالملائكة والبعث والجزاء والجنة والنار ويؤمنون بالقضاء خيره وشره من الله تعالى، هذه هي الأصول وما عداها لا ينقضها إلا قول يصادمها .

ثالث هذه العناصر: وحدة الرسالة والرسول :

إذ أن الرسالة لها بدء ولها ختام وختامها هو المصطفى (ص) فالرسول الخاتم واحد وبذلك تؤمن كل المذاهب الإسلامية، والرسالة ذات الأهداف الكلية واحدة ولها دوائر تتمثل بتشابك عظيم في دائرة العقيدة والإيمان، دائرة الشريعة والمعاملات، دائرة الأخلاق والصفات، وما دام الأمر كذلك فَلِمَ الاختلاف في الفرعيات ؟ خلافًا يؤدي إلى استعداء واستعلاء الأعداء.

رابع العناصر: الرابطة لوحدة الأمة ووحدة الهدف والمصير:

غاية المسلم المتبع لهدي الله تعالى الوصول لمرضاته وهدفه في الحياة الدنيا أن يعيش سعيدًا وفقًا لشرعه وأن يكون مصيره إلى الله تعالى والحصول على رضوانه لينال سعادة الآخرة .

فكيف بمن اتحدت أهدافهم أن تتفرق سبلهم هذا والله من النكايات التي أوقعها إبليس في هذه الأمة فهل إلى خروج من سبيل، نعم السبيل واضحة واحدة ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا

تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام ١٥٣] .

خامس العناصر: البعد عن الخلاف والتفرق :

ولو أن المسلمين أصغوا وانتبهوا لآيات القرآن الكريم الداعية للوحدة والناهية عن الخلاف والاختلاف والتفرق لما كان حالهم الآن التشرذم ثم الفشل الذي حذرت منه هذه الآيات، وهذا أمر مثير للدهشة وللعجب !!!

المرتكزات التي تقوم عليها وحدة الأمة الإسلامية :

أول هذه المرتكزات عالمية الرسالة المحمدية :

والإعلان عن هذه العالمية جاء في كثير من آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة فمن الآيات قول الله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَالنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ ٢٨] .

أما في حديثه (ص) فقد جاء قوله: «بعثت إلى الناس كافة» وكذلك قوله: «بعثت إلى الأحمروالأبيض».

إن العالم اليوم في أشد الحاجة لرسالة الإسلام، ولا يحمل هذه الرسالة إلا الأمة الموحدة التي تجاهد تحت راية واحدة راية لاإله إلا الله، وهذه الراية لا ترتفع إلا إذا حمتها قوة الوحدة التي تردّ العدوان.

المرتكز الثاني : وسطية المنهج :

هذه الأمة وصفها الله تعالى بل جعلها أمة وسطًا لتكون شهيدة على الناس: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شهيداً ﴾ فما الهدف من ذلك ؟ الهدف من هذه الوسطية أن تكون بين الناس مثل رافعة الميزان فلا حيف ولا ميل إلا للحق، أمة وسطًا في توازنها بين مطالب الدنيا والآخرة، بين مطالب الروح والجسد، أمة وسطًا حتى في جغرافية الكون بكل أبعادها .

المرتكز الثالث : التوازن بين مطالب الدنيا والآخرة :

أمة وسطا في الاقتصاد وتدبير المعاش، وهديها كان ولا يزال ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء ٢٩] فكرها الاقتصادي بين مذهب الشر والشره، فلا هو بالرأسمالية الطاغية ولا بالاشتراكية الباغية .

أمة إرثها الروحي يذم الرهبانية المبتدعة ولا ينهمك في المادية المرعبة، فأين من يحمل هذه المفاهيم إلا دعاة الإسلام المتحدون في مواجهة الباطل .

المرتكز الرابع آصرة أخوة الإيمان :

هذه الآصرة شبهت في القرآن الكريم بالحبل الذي يشد الأجزاء المتفرقة حتى تشبه الحزمة المشدودة التي قال فيها الشاعر الحكيم لأولاده :

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسـرًا

و إذا افتـرقن تكسـرت آحادا

ومفهوم الاعتصام الوارد في الآية التي يعني الترابط والتناصر والموالاة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِوَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة ٧١] .

هذه الصفات لا تتحقق إلا لمن صفت قلوبهم من الغل والحسد والشحناء والبغضاء. و إذا كانت الطبائع الإنسانية تقود إلى شيء من ذلك فإن المجاهدة في طلب التزكية والسعي من العقلاء لاحتوائها فرض لازم.

وواضح من سياق الآيات أن الرحمة مرتبطة بإحياء رابطة الأخوة وآصرتها، فلا قوّة للأفراد والجماعات والأسر إلا بهذه الرابطة، ولا قوة للأمة والدولة إلا بإصلاح حال القلوب وانتزاع سخائمها وطمعها في المال والسلطة وحب الإستعلاء .

المرتكز الخامس : مواجهة اعتداء العدو:

مواجهة هذا الاعتداء من الأمور البديهية التي يعرفها كل كائن حي بالفطرة، ولا يستطيع كائن أن يرد الاعتداء إلا باستجماع القوة. ألا ترى أن الجسم الإنساني يستجمع مناعته ليصد الجراثيم، وكذلك الأمة.

وخلاصة هذه المرتكزات أن وحدة الأمة هي التي تقود إلى مواجهة التحديات والمشكلات العديدة التي أوردها هنا مختصرة .

التحديات والمشكلات أمام الوحدة الإسلامية :

التحدي الأول مرارات التاريخ الإسلامي :

المعلوم أن مسار التاريخ الإسلامي بعد عهد النبوة كانت فيه مشكلات ومرارات تاريخية يعترف بها الجميع، وذلك من خروج الخوارج والتفرق إلى شيع وأحزاب في جوانب السياسة والحكم، وجوانب العقيدة والإيمان وحتى جوانب الفقه والاستنباط للأحكام .

هذه حقيقة واقعية لم تستطع الأمة تجاوزها حتى الآن والمطلوب في هذه الظروف التي تعيشها الأمة أن يستعلي الجميع على هذه المرارات مهتدين بقول الله تعالى ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة ١٣٤]

التحدي الثاني : الانتباه لتسجيل هذا التاريخ الإسلامي من الرواة المدلّسين ولا سيما الوضّاعون في الحديث النبوي من الأطراف المختلفة، وفي يقيني لا تسلم فرقة عن فرقة ولا مذهب عن مذهب، لقد وضع بعضهم الأحاديث حتى لترويج السلع والتجارة ولا أريد أن أسوق أمثلة على ذلك .

التحدي الثالث : الانسياق للمشائين بالفتنة :

ومن هؤلاء مغفلون ومنهم مستغَلون أو مستغفلون من الأعداء، أما المغفلون فهم الذين ينظرون تحت أقدامهم ولا يصوبون النظر تجاه الخطر القادم من جانب العدو المشترك، ومن هؤلاء من يسمع أو يقرأ ولكن لا يميز بين الصحيح والمنحول أو يلجأ إلى تأويل هو أقصر قامة من رجاله .

والمشاءون بالفتنة تجدهم في كل طائفة ومذهب، المغفلون منهم تجد عندهم إخلاص لكنه إخلاص الدب الذي قتل صاحبه حين أراد أن يهش عنه الذباب !! وهؤلاء عندهم أجهزة إعلام صحف ومجلات و إذاعات وقنوات تسعى للشحناء وتفرزالبغضاء، فعلى العقلاء من شتى المذاهب الحذروتفويت الفرصة على الفريق الآخر، وهم المستغلون من الأعداء المستغفلون، ومنهم من سُمي (م.ن) مغفل نافع للأعداء !! .

التحدي الرابع : قصرالنظر:

وقد أشرت إلى شيء من ذلك أعلاه وهذا داء قد يكون طبيعيًا في الكائن الحي، وقد يكون مفروضًا عليه من عوامل خارجية لكن للحالتين علاج، الأول استعمال ما يساعد على صحة النظر، والثاني البعد عن البيئة التي تفرض قصرالنظر، وأما الجهل فدواؤه العلم، فمن أراد العزة والقوة فليكن طلب العلم شعاره ودثاره، والمسألة فيها خيري الدنيا والآخرة، فمن أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معًا فعليه بالعلم.

التحدي الخامس : مواجهة خطط الأعداء :

منذ ظهورالدعوة الإسلامية وأعداء الإسلام يكيدون له ولرسوله وللمؤمنين ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق ١٥-١٧] وهذه الخطط في العصر الحديث قام عليها المستشرقون والمنصرون والعلمانيون، أما

المستشـرقين فقـد نبشـوا كتـب الفـرق ليثيـروا الخلافـات ووضـع الأسـافين بـذلك بـين أهـل الفـرق المختلفـة وسـاعدهم فـي ذلـك مـن ذكرنا من مثيري الفتنة بأصنافهم .

وأما المنصّرون فقد حاولوا فتنة الناس عن دينهم جملة واحدة، أو عملوا على صنع الكوارث والحروب حتى تقام المعسكرات وتجوع البطون فيأتون بالخبزوالحليب والصليب !!.

دور العلماء في صيانة الهوية الإسلامية الواحدة

عفاف الحكيم *

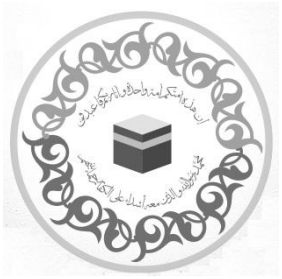

لا شك أنه كما للفرد هوية يتميزبها. فكذلك للمجتمع والأمة هوية تميزها عن غيرها من الأمم ..

ومن هنا تعرّف هوية الأمة بأنها ذاتها ووجودها.. وتعرّف هوية الفرد بأنها حقيقته وجوهره والبصمة المميزة لكل ما يحمله أو يوصف به من صفات عقلية وروحية وفكرية وأخلاقية واجتماعية ..

وأن عالمنا اليوم يشهد صراعًا حادًا على هذه الهوية.. كما يعتبر هذا الصراع التحدي الأكبرالذي يواجهه المجتمع الإنساني برمته، لأن استفحاله وتصاعد وتيرته سيؤدي إلى ذوبان الخصوصيات الثقافية وذوبان التقاليد والأعراف لدى سائرالأمم والشعوب ..

وأن هذا الخطرالذي يتهدد الجميع بات اليوم ظاهرة تكتسح مناطق شتى من العالم.. والغاية منه هي محوالهويات ومحاربة التنوع

---

* - باحثة ومفكرة إسلامية - لبنان .

الثقافي والعمل على انسلاخ الأمم والشعوب عن مقوماتها لتندمج جميعًا في إطار النموذج الأمريكي..

ـ وليست هذه الظاهرة التي نتحدث عنها ثقافية وفكرية و إعلامية فحسب كما يبدو.. و إنما هي ظاهرة سياسية في المقام الأول - كما تبين الدراسات والأبحاث - لأن الهدف النهائي الذي تسعى إليه هذه القوى هو إخضاع العالم لمنطق القوة والهيمنة والسيطرة تحقيقًا لغاياتها الذاتية..

وقد بلغ إعجاب واغترار الرئيس الأمريكي- كلينتون- بالهوية الأمريكية أن وجد في نفسه الجرأة بأن قال: «**إن أمريكا مؤمنة بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري. وأننا نشعر أن علينا التزامًا مقدسًا بتحويل العالم إلى صورتنا**».

ـ وبناء عليه. فان مؤهلات أي مجتمع وقدرته على مواجهة هذه المشاكل والتحديات إنما ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمستوى ثبات واستقامة ذلك المجتمع مع هويته.. لأن الهوية بالنسبة للمسلم- على سبيل المثال- تمثل صدق انتمائه وانصهاره وتعلقه وحبه لله تعالى وللرسول(ص) وآل بيته وبالقرآن وبدين الإسلام عامة.

ـ و إنه في ظل هذا المناخ العالمي غير المستقر يتضاعف الخطر الذي يهدد ـ كما بينا ـ المجتمعات الإنسانية والإسلامية منها بشكل خاص.. في خصوصياتها الثقافية والحضارية وفي أمنها الفكري والعقائدي وهويتها العامة.. ومن هنا يصبح الحفاظ على الهوية

الإسلامية ضرورة ملحة وواجبًا إسلاميًا وأولوية هامة.. «وهنا نلفت إلى ما كتبه أيضًا الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون في مذكراته بأنه ليس أمامنا بالنسبة إلى المسلمين إلا أحد أمرين:

ـ الأول: تقتيلهم والقضاء عليهم .

والثاني: تذويبهم في المجتمعات الأخرى المدنية العلمانية.

ـ و إن حرب الثقافات والحضارات والحرب الاجتماعية الناعمة التي يعيشها العالم في أيامنا.. ما هي إلا نموذج من هذا الصراع المحموم الذي يسعى كل طرف فيه لفرض هويته وطمس هوية الآخرين..غيرأن التحدي الأكبريبقى في السياسة الاستعمارية الجديدة التي تسود العالم اليوم والتي ترمي إلى تنميط البشروالقيم والمفاهيم وفق معاييرها الجديدة. وتسعى إلى صياغة هوية شمولية تفرضها في الواقع الإنساني ..

و إن المسؤولية الكبرى اليوم هي التي تقع على عاتق علماء الإسلام في العالم الإسلامي.. باعتبارأن الظروف الراهنة تحتم الجلوس لدراسة وتدارس هذا الأمرغيرالهين من أجل وضع وتفعيل الرؤى والنشاطات الجماعية والأعمال الآيلة إلى الحفاظ على الهوية الإسلامية ..

ونحن نعلم أن القرآن الكريم قد وضع القواعد والأسس لهوية المجتمع الإسلامي من الناحية النظرية.. وأن السنة المطهرة للنبي(ص) وأهل بيته الطاهرين قد عملت على تبيين وتفسيرتلك المفاهيم

القرآنية وتطبيقها على أرض الواقع, عاملة على تأمين سياج متين لحماية الفرد المسلم من أن يندمج بغيره أو يفقد هويته.. وأن عظمة الإسلام المتجلية في عظمة كتاب الله والسنة المطهرة التي تفسره تبرزهنا مع تأكيد الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في نفس الوقت على احترام عقائد وأفكاروهوية الآخرين، حتى لو كانت غيرصحيحة.. بل نراها تأمرنا مع تشديدها على انضباطنا وتمسكنا بهويتنا بعدم إيذاء غيرالمسلمين و إثارتهم و إهانة دينهم، كما تلزمنا بمنهج الدعوة بالحسنى بدل السب والشتم وتحثنا على الصفح وغض النظرعن السيئة إظهارًا لسماحة الدين العظيم .

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ، وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ **(الكافرون)**

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلَهُنَا وَ إِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ **(العنكبوت/٤٦)**

وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِعِلْمٍ ﴾ **(الأنعام/١٧)**

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ **(فصلت/٣٤)**

ـ ولقد كان الرسول(ص) وأهل بيته(س) صورة صادقة للدين الذي

جاء به.. كانوا أنموذجًا في الرحمة والبشروالانفتاح الكريم، وفي الصبروالصفح والعفو وغض النظرعن السيئة وعدم الرد على الإيذاء من أي جهة كان..

ومن هنا شكل(ص) وأهل بيته الواحة المعنوية والروحية والملاذ الأمن ومحورالحب والالتفاف والاقتداء والوحدة في المجتمع الإسلامي كافة ..

و إنها لصورة قاتمة ومخيفة تلك التي ترسم اليوم للإسلام في أذهان الناس.. حتى صارالناس يخافون من الدين ومن التدين لأنهم يظنونه شيئًا قاسيًا لا يرحم، وأتباعه غلاظ لا يلينون، وأحكامه سيف قاطع على الرؤوس ..

قوى الاستكباروتراجع الأمة

ـ نعم لقد مرت الأمة الإسلامية بأزمنة صعبة، بدأت معها تفقد توازنها وانضباطها وهويتها، وذلك بسبب الحكام والسلاطين الذين تسلطوا على مقدراتها، و بسبب فسادهم وتطلعاتهم الدنيوية والتنازلات التي قاموا بها من أجل تحكيم عروشهم.. ثم كانت الكارثة في فتح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين وظهورهذه المدارس بأنها الأرقى.. بعد أن زودت بإمكانات هائلة.. وقد قال يومذاك مؤسس الجامعة الأمريكية في لبنان: «**علينا أن ننشئ مدارس لبنات المسلمين. فنحن لا نطمح أن يكنّ مسيحيات مستقبلًا.. ولكنا نطمح أن لا يكنّ أمهات مسلمات**» .

وقال (كرومر) حاكم مصرأيام الاحتلال **«أن أبناء مدرسة فكتوريا سيكونون أبناءً للغرب ينادون بالهوية الغربية ويحاربون الإسلام والمسلمين»** .

وقبل ذلك كانت نصيحة لويس التاسع ملك فرنسا وهي تمثل معلمًا بارزًا للغرب في تعامله مع المسلمين حيث قال:«**إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده فقد هزمتم إمامهم في معركة السلاح. ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم**».

ـ وقد وعى قومه هذه النصيحة فجاءت رياح الاستعباد وجاء الاحتلال الأجنبي لمعظم بلاد المسلمين ليعمق الشعور بالتخلف. وانتشر الفقروالجوع والمرض والجهل ونسب كل ذلك ظلمًا للإسلام. بعد أن عينوا حراسًا لمشاريعهم تعمل على التجذير بالإسلام والمسلمين أمثال ـ كمال أتاتورك في تركيا ـ ورضا بهلوي في إيران وغيرهم، وسعوا بكل أسلوب لإبعاد الأمة عن هويتها آخذين بأسرع الطرق وهو طريق التغريب الذي يهدم الشخصية الإسلامية ويبنى مكانها الشخصية الغربية، ونجحت هذه الخطة نجاحًا كبيرًا وحققت لهم أهداف عظيمة على مستوى تغييب الهوية الإسلامية وبناء تصورات غربية لدى أبناء الإسلام.

ـ وبعد ذلك غُزينا بالإعلام، صحافة و إذاعة وتلفازوقنوات فضائية..

وكان أن افتتنت مجتمعاتنا التي انساقت باتجاه الحضارة المادية الواردة من شرق الأرض وغربها وغلبت الشعوب على أمرها عبر حكام ظلمة وعملاء كانوا أشد ضراوة على شعوبهم من المستعمر نفسه.. وكان أن أخرج الشعب الفلسطيني الأبي من دياره وأرضه.. ثم راحوا يجهدون لتضييع القضية الفلسطينية برمتها وهي أهم وأعز قضية لدى المسلمين كافة.. وأذكرهنا ما قاله أخيرًا وزيرخارجية العدو الصهيوني حين أسقطت بعض الدول العربية المقاطعة الاقتصادية من الدرجة الثالثة قال: «ليس المهم ما نحققه من مكاسب اقتصادية بقدرما حققنا من بداية انهيارالحاجزالنفسي..»

ـ العلماء وساحة المواجهة :

نعم إلى جانب صمودهم وجهادهم العلمي والثقافي الذي هو حقًا أفضل من دماء الشهداء في بعض جوانبه.. فقد تحمّل علماء الدين في كل عصرمن العصورالمرارات من أجل الدفاع عن المقدسات الدينية والوطنية، وتحملوا الأسروالنفي والسجون والأذى والمضايقات الجارحة وقدموا شهداء.. بل أن عدد الشهداء المجهولين منهم ممن قضوا غرباء خلال نشرالمعارف والأحكام الإلهية على يد العملاء والجبناء كثيروكثير. و إنه على سبيل المثال نذكرمن هؤلاء.. العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين. العالم المجاهد الذي واجه الفرنسيين في لبنان أيام احتلالهم البلاد والسيد المدرّس في إيران الذي واجه الحكومات الظالمة حتى استشهد..

والمرجع الكبير الشيرازي الذي قاد ثورة التنباك وواجه الحكم الذي مكّن الانكليز من التصرف بالتبغ واستغلال الناس و إشاعة الفساد.. فأرسل برقية من سامراء... إلى الشاه القاجاري مبينًا بأن هذا يعتبر «**منافيًا لصريح القرآن الكريم والقوانين الإلهية. وبالتالي يؤدي إلى ضعف الدولة وعدم تمكينها من المحافظة على مبادئها واستقلالها**» وقاد نهضة ضد الأهداف الاستعمارية لبريطانيا من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية للشعب الإيراني المسلم .

والسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في مصر اللذين وضعا معًا أسس الإصلاح الديني الإسلامي في العالم الإسلامي كله، وكان كل ما يشغلهما هو توحيد كلمة الإسلام والمسلمين و إزالة الفوارق بينهم ويقظة العالم الإسلامي على مواجهة الغرب الذي يرغب في الاستيلاء على مصادر الثروات الطبيعية والبشرية في ديار الإسلام الممزقة التي يحكمها الجهل.

والإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الإسلامية في الجزائر والمجدد المصلح الذي دعا إلى نهضة المسلمين وقال: «إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوة و إذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبّر وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة متساندة في العمل عن فكر وعزيمة».

والشيخ عمر المختار المجاهد الليبي الذي قاوم ظلم وطغيان المستعمرين الإيطاليين عشرين عامًا داعيًا إلى التخلص من الاحتلال

البغيض ومظالمه وفساده إلى أن قضى شهيدًا. وكان يقول: «إن علينا أن نقاتل في سبيل ديننا وحريتنا حتى نطرد الغزاة أو نموت نحن وليس لنا أن نختار ـ غير ذلك ـ إنا لله و إنا إليه راجعون» وغيرهم وغيرهم كثير.

وهكذا كان للعلماء حضورهم الدائم في ميادين الجهاد.. و إن كل من يعرف التاريخ يعلم أن من قام ضد التسلط هم العلماء. وفي أي ثورة إسلامية كان العلماء هم السباقون إلى الشهادة.. كما أنهم اعتلوا المشانق في أكثرمن مكان..

فالعلماء الملتزمون كانوا يشكلون طوال تاريخ الإسلام أهم قاعدة شعبية للإسلام في مواجهة الحملات الاستكبارية والانحرافات.. وأن دورالعلماء لم يكن خافيًا على الطغاة. بل أنهم كانوا الهدف الرئيسي للاستعمارعلى الدوام .

و إنه بالإضافة إلى حفظ الدين وصون هوية المجتمع والأمة فإن العلماء أخذوا على عاتقهم نشرالدين بين الناس والتصدي لعملية تعليمه وبث أحكامه ومفاهيمه في أصعب الظروف.. ولقد بذل الكثيرون منهم أعمارهم ودماءهم في سبيل نشرحكم شرعي من أحكام الإسلام. وذلك في الوقت الذي كان فيه السلاطين والظالمون يسخّرون جميع إمكاناتهم من أجل إبعاد الناس عن تلك التعاليم ..

ـ نعم لقد أدى علماؤنا العظام تكليفهم طوال التاريخ على أحسن

وجه لأنهم لم يكتفوا بثقل المسؤولية العلمية الملقاة على عاتقهم.. بل حملوا معها عبء مواجهة الطواغيت وحفظ المجتمع الإسلامي وصون هويته بكل الوسائل والإمكانات المتاحة لديهم في تلك الأزمنة الصعبة ..

القيادة العلمائية وأنموذج القيام لله :

ـ وأنه من هذا الوسط العلمائي الحوزوي خرج الإمام الخميني(رض) خرج الإنسان الذي صاغه الإسلام وقدمه إلى العالم في لحظة تاريخية غامرة اهتزت لها العقول والقلوب على امتداد الكرة الأرضية ..

ـ عالم رباني أوجد حالة نادرة من القيام لله.. استنهض شعبًا بكامله.. بل استنهض أمة.. استطاع بعد توكله على الله.. أن يقود الجمع.. أن يهزم الظلم ويبني مجتمعًا رساليًا متماسكًا.. ويؤسس لجمهورية إسلامية هي اليوم ملء سمع الدنيا وبصرها ..

لقد كان(رض) مشبعًا بالإسلام فكان طرحه وفكره بحجم الإسلام, وليس بحجم مذهب أو فئة. كان يرى الأمة باتساع كل مكوناتها.. فالسنة والشيعة بحسب رؤيته يشكلون الإسلام الواحد..وعليه فهم هدف واحد لأعدائهم الذين يتربصون بهم الدوائر.

وهذا العالم الرباني.. لم تمنعه كل الحواجز المادية والدنيوية من

أن يجسد الحقائق الأصيلة في بلده. بفضل ما اتسمت به شخصيته المباركة الفذّة.. التي اكتسبت سكينة وثبات في مواجهة التحديات. واتصفت بصفات الزهد والإخلاص فكانت تترفع عن كل شوائب الدنيا وعناوينها.. فلم يشده الحكم والسلطة والمناصب مما جعله يؤثرتأثيرًا بالغًا في نفوس الأجيال التي حرك فيها البعد المعنوي.. بحيث صارالوعي الديني إحدى أهم خصائص عصر الإمام(رض) بعدما أرخت الجاهلية المعاصرة بكامل ثقلها المادي على مجتمعاتنا..

هذا العالم الرباني كان يمتلك إيمانًا كبيرًا بقدرة الشعوب الإسلامية على تجسيد الإسلام الحقيقي. إذا ما التزمت نهج الله تعالى وعملت طبقًا لما تقتضيه رسالة السماء. وذلك لكونها القوة الحقيقية التي يمكنها أن تبدأ بالتغييروالتوجه نحو الأفضل.. نحو ساحة دين الله وحكمه ..

هذا العالم الرباني.. سنتوقف مع بعض ما تحدث به الكثيرمن الكتاب والمفكرين حول فكره(رض). إذ يقول السيد القائد الخامنئي دام ظله«**نهج الإمام الخميني هو نهج الأنبياء. الذي قام على أساس الصبروالمقاومة والاستعانة بالله سبحانه وتعالى للتغلب على المصاعب والضغوط**».

نعم هذا هو الإمام الخميني(رض)العالم الرباني الذي شق الطريق لمسيرة عصرجديد.. والذي قدم أعظم ما يمكن تقديمه لجهة

استعادة المضمون الثوري للإسلام.. كما قدم أعظم أنموذج لرجل دين ثوري.. عرف كيف يستعيد للدين حضوره وللمسلمين هويتهم الجامعة والواحدة.. عرف كيف يكشف عن جوهر الأمة وعن إنه رغم نجاح الأعداء في إبعاد الهوية الإسلامية عن واقع كثير من المسلمين إلا إنهم فوجئوا ـ مع الانتصار المدوّي لثورته المباركة ـ أنهم لم يستطيعوا أن يستلبوا ضمائر المسلمين.. وأن روح العداء للطغيان الغربي متأصل لديهم، وأن نجاحهم محدود مهما حقق من نتائج ..

ولذا راحوا بعد ذلك يعملون بانفعال كبير على تغيير الهوية الإسلامية بالقوة، وذلك بالتدخل المباشر في تغيير أنماط سلوكيات المجتمعات الإسلامية.. وذلك بتغريب جميع الوسائل المؤثرة في هذه المجتمعات مباشرة.. كما راحوا يعملون بقوة على مبدأهم الأساس (فرق تسد) وظهر انفعالهم الشرس عبر إثارة النعرات الطائفية والمذهبية البغيضة في كل مكان بهدف قطع الطريق على أنموذج القيام لله ..

الوحدة والتقريب ودور العلماء :

ومن جهة ثانية وسعيًا منه(رض) لتحقيق أسس ومقومات وحدة الأمة والإحساس بأهمية التقريب بين شعوب الأمة الإسلامية وفقهاء مذاهب الأمة الإسلامية نجده يؤكد بأن الوحدة الإسلامية هي الوسيلة الوحيدة لمواجهة التحديات التي تواجهها الأمة.. وبأنه يتعين

على جميع المسلمين وعلى رأسهم العلماء... وخصوصًا مع الظروف الحساسة التي تجتازها الأمة على كافة الصعد.. اعتماد الوحدة ملفتًا إلى أن الأخوة الإسلامية والتقريب بين الشعوب والمذاهب هو السبيل الوحيد لهذه الوحدة الجامعة، والتي من دونها لا يمكن أن ندعي اكتمال الهوية الإسلامية الواحدة.. مبينًا أن الإسلام قد وضع خطة متكاملة لتحقيق هذه الوحدة على أساس الاعتصام بحبل الله وعدم التفّرق.. مؤكدًا على وحدة الأصل والخلق والإيمان والإسلام ووحدة الصف والكلمة والهدف والمسير. داعيًا الجموع للدخول في إطارالتسليم الكامل لله. والابتعاد عن وساوس الشيطان، مذكرًا بأهمية التضحية بالمصالح الضيقة في سبيل الهدف العام حاذفًا كل المعاييرالتي قد تفتح بابًا للفرقة، كاللغة والقومية والوطن والعشيرة واللون.. مركزًا على المعاييرالإنسانية كالعلم والتقوى والجهاد ومؤكدًا على لزوم تحري نقاط اللقاء ومبدأ الأخوة الإسلامية الذي يشكل أهم جزء مشترك بين المذاهب الإسلامية ..

يقول الإمام(رض) **«يجب أن يكون المسلمون يدًا واحدة ضد كل الظالمين»**

«إن القرآن الكريم يحكم بأن جميع المؤمنين في العالم هم أخوة متكافئون»

«الأخوة الإسلامية هي منشأ كل الخيرات»

«لقد بلغتم ما بلغتم بالمحافظة على الأخوة وبالمحافظة على الأخوة تبلغون ما هو أسمى أيضًا»

ويقول الإمام(رض) أيضًا: **«لقد ذكرت مرارًا أن لا أهمية للعنصر واللغة والقومية والإقليم في الإسلام. جميع المسلمين ـ سنة كانوا أم شيعة ـ هم أخوة متكافئون متساوون في المزايا والحقوق الإسلامية»**

«إني أمدّ يدي وبمنتهى التواضع نحو جميع التجمعات العاملة لخدمة الإسلام. طالبًا إليهم السعي لتحقيق الاتحاد فيما بينهم في جميع المجالات وذلك من أجل بسط العدالة الإسلامية التي تمثل الطريق الوحيد لتحقيق السعادة للشعب»

«الفرقة من الشيطان. والاتحاد ووحدة الكلمة من الرحمن»

«إن أشد الضربات التي توجه لنا إنما هي من الاختلافات الداخلية»

«بعد ما يئست القوى الكبرى من الحصول على نتيجة من الحرب والهجوم العسكري- بادرت باستخدام الأساليب الشيطانية- لزرع الخلاف والفرقة»

«إذا كنا مختلفين في الأسلوب أو الرأي فعلينا أن نجلس لنتحاور ونطرح مشاكلنا ونحلها في جو هادئ»

صيانة الهوية الإسلامية الواحدة:

بالوقوف على مفاهيم وأفكار الإمام الخميني(رض)- كعالم

وأنموذج للقيام لله- في نظرته المتميزة والخاصة بالعلماء ودورهم على امتداد التاريخ في حفظ الإسلام وصيانة الهوية الإسلامية ومواجهة الظالمين.. نصل إلى نقطة صراع الهويات وحيث أدركت كل الأمم أن قضية الهوية قضية محورية..وأن من لم ينتبه إليها سيجرفه سيلها وسيذوب في ثقافة غيره وتتلاشى ميزاته الخاصة ليكون ذيلًا و إمّعه.. ولذا فإن هاجس الهويات حاضربشكل وبآخرفي معظم دول العالم، وهناك تجاذبات في شأنها ما بين المحافظة على الخصوصية ومتطلبات الحداثة.. وهذا الهاجس بات مظهرًا ساطعًا من مظاهرالصراع في هذا العصر.

والمهم هنا أن أعداء أمتنا لم ولن يتركوها على هويتها الإسلامية وعقيدتها التوحيدية وثقافتها الإيمانية، بل سيكيدون الليل والنهار لزحزحتها عنها وطمسها قال تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ **(البقرة/٢١٧)**

ولقد حاول أعداء الإسلام سابقًا وهم اليوم يحاولون جاهدين من أجل أن يطمسوا ويستأصلوا الهوية الإسلامية من المسلمين ولهم في ذلك وسائل شتى ..

فهذا نيكسون وهو أخطررؤساء أمريكا، لأنه رجل مفكرومنظر وليس رئيسًا عاديًا يقول في كتابه- انتهزالفرصة- **«إننا لا نخشى الضربة النووية، ولكنا نخشى الإسلام والحرب العقائدية التي قد تقضي على الهوية الذاتية للغرب».**

ويقول نيكسون أيضًا: «**إن العالم الإسلامي يشكل واحدًا من أكبرالتحديات لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية في القرن الواحد والعشرين**»

نعم إنهم يخشون المواجهة العقائدية.. يخشون الالتزام العقائدي الواعي.. ويحسبون له اليوم ألف حساب.. لأن الالتزام الحق كما رأينا ـ في أنموذج العالم الرباني - ليس شعارات ترفع و إنما هوية تترجم إلى التزام وولاء وسلوك وعمل ومنهاج حياة ..هوية ينضوي تحت لوائها كل مسلم.. لأن المسلمين كلهم يجمعهم مسمى واحد ومعتقد واحد: ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (الحج/٧٨)

وهم أمة واحدة قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الانبياء/٩٨)

طبعية الموقف الإسلامي
من الأمم الأخرى

حسن عبد ربه المصري *

الإختلاف سنة إلهية ..

الإختلاف المتعدد سنة إلهية .. لذلك صار مشروعًا أن يتواجد وتتعدد صوره بين بني البشر الذين خلقهم ربهم مختلفين .. وهنا يبين لنا مسار التاريخ الإنساني ان التنوع والتعدد بين الناس كما خلقهم الله ، هو الذي يدفع حركة المجتمعات ويحرك عوامل التطور والنهضة والرقي ، ولولا هذا الدفع كما تقول الآيتان الكريمتان .. ٢٥١ من سورة البقرة ﴿..... وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّه ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ، و٤٠ من سورة الحج ﴿.... وَلَوْلَا دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ .. لما نشأت حضارة ولتوقف إعمار الدنيا ولضاعت معالم تراث التوحيد الذي توارثته الأجيال ..

---

* ـ استشاري اعلامي لندن ـ بريطانيا.

هذا الاختلاف وتلك التعددية التي يوضحها لنا ربنا في قرآنه الكريم تتفق مع مبدأ حرية إرادة الإنسان عندما يختار ويقبل بتحمل مسؤولية اختياره ذاك ، لأن الله القادر لم يفرض عليه الإكراه الذي نفته عن نفسها كافة الدعوات الإلهية للتوحيد التي جاء بها النبيون ، لأنها جاءت في الأساس لفك أسره من إغلال العبودية الفكرية لغير الله ، ولإطلاق حريته في الاختيار إلى أقصى مداها وفق رؤيته واجتهاده ، على أن يتحمل مسؤولية ما وقع عليه اختياره ..

الإنسان كما خلقه ربه ، كائن حرّ ذو مسئولية ، وليس هناك حرية بلا حق موثق في الاختيار.. والمسؤولية لا يكون لها معنى إن لم تتوافر لها الحرية ..

ولنا في آيات القرأن الكريم أسطع بيان ..

الآية ٣ من سورة الإنسان ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا﴾ ..

الآيتان ١٨ و ١٩ من سورة الإسراء ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ ..

هذه آيات ثلاث من بين آيات أخرى كثيرة ، تدل على توافر مقتضيات الإرادة لدى الإنسان لكي يختار بحرية بين زيف الدنيا ونعيم الآخرة ، فمن سأل الله الدنيا آتاه منها ومن عمل من أجل الآخرة سهل الله له طريقه إليها .. وكلاهما أي من اختار هذه ومن

فضل تلك ، سيلقى وجه ربه يوم القيامة فيجازيه الجزاء الأوفى .. أليس إلى ربنا المنتهى ؟؟ ..

وفي المقابل شدد القرآن بقوة في التحذيرمن استخدام أسلوب الإكراه لإدخال الناس رغمًا عنهم في الدين ، أو إكراه أحدهم على الإيمان دون اختيارحرّ منه ..

ولذلك جاءت الآية ٢٥٦ من سورة البقرة نافية لهذا المبدأ: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْبِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَانفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.. وقال الله تعالى لنبينا صلوات الله عليه وتسليماته في سورة يونس الآية ٩٩ ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ ..

الاختلاف مكون أساسي من مكونات المجتمع البشري ..

الاختلاف بين البشرأمرفطري ، يقود فريق منهم إلى سبيل الحق وفريق آخر إلى طريق الباطل ، ومن يرحمه العليم القديريرشده إلى الحق .. فيدلّهم كيف يستخدمون لإرادتهم وحريتهم وفق ما توفره لهم بيئاتهم و إمكاناتهم من قدرات ، للتعرف على سبيله سبحانه وتعالى كل وفق ما يُسّرَله ..

هو موجود ، وليس من سبيل لنفيه أو إنكار وجوده أو عدم الاعتراف به ، لأنه صاحب رأي ويملك حرية الاختياروقادرعلى تحمل المسؤولية ..

هو موجود لأن قرآننا أقرّبوجوده ووصفه أنه مختلف في الأصول أو الفروع ، ليس هذا فقط ، بل كلفنا بأن نتعامل معه وفق المبادئ الخمسة التالية :

١ – حرية الإرادة والاختيار

٢ – نفي الإكراه

٣ – لأن قرآننا كتاب هداية يخاطب كل البشر

٤ – لأن المخاطبة تنصرف إلى الجميع بلا استثناء أو ازدراء

٥ – لأن المخاطبة القرآنية لا يحد منها تنوع الجنس أو اللون أو اللسان أو العقيدة .

كيف يوجهنا القرآن الكريم للتعامل مع الآخر؟؟ ..

القرآن الكريم لا يُقرأن يؤدي الاختلاف إلى القهروالعدوان والاعتداء والتدميرو إضعاف البشرية وتعطيل طاقتها الإبداعية ..

ينصحنا رب العزة: ﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ سورة الانفال الآية ٤٨..

التنازع حول الحقائق الدنيوية والأمورالمادية يُضعف القوة ويقوض الصف الواحد ويقضي على التواصل الإنساني ويُوقف خدمة البشرية ، لذلك يأمرنا ربنا أن نصبرعلى الخلاف ، أي أن نعمل على ألا يصل بنا ـ أي خلاف ـ إلي حد التنابذ، ولاأن يقودنا عميانًا إلى التناحرفيما بيننا.

ولن يتحقق لنا الأخذ بهذه النصيحة والالتزام بهذا الأمر إلا إذا اتبعنا المنهج القرآني الذي وضعه لنا ربنا للتعامل مع الآخر الشخص أو الأمة .. لأنه منهج يقوم على توظيف الاختلاف بين المجتمعات لخير البشرية، ويحقق لها ما تحتاج إليه من سلام وتقدم وتنافس سلمي حول الأفكار الإنسانية التي يتحقق من ورائها النفع العام لكافة مخلوقات الله على الأرض ، وحول تسخير مظاهر طبيعية حتى تستفيد منها الإنسانية - ونحن جزء منها - لمواصلة عمارتها لهذا الكوكب الذي نعيش عليه معًا ..

من هنا نقول ..

إن المنهج القرآني في التعامل مع الآخر، يقوم على ..

الحوار أولًا وقبل كل شيء ..

القرآن الكريم يحفل بالعديد من الحوارات التي دارت بين الله سبحانه وتعالى ومبعوثيه إلى خلقه وبين ملائكته ، بل وبينه جلّ وعلا و إبليس ، وبين البعض من رسله والملائكة وبين الأنبياء وأممهم .. الخ..

جانب كبير من الحوار الذي ورد في القرآن الكريم عرض لنا بكل أمانة وموضوعية ما دار بين الرسول عليه الصلاة والسلام والمشركين والمنافقين بنفس كلماته وألفاظه ومسمياته حتى ما جرى على لسانهم من اتهامات أو اعتراضات غير عملية وتسميات غير مستحبة.

الحوار هو الأداة الوحيدة بين لغات التخاطب البشرية التي ينتج عنها مواقف متقاربة ورؤى متجانسة وخطوات مستقبلية مُدعمة بالعلم والمعرفة بعيدًا عن التعصب والعنصرية والازدراء ..

ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم للمتحاورين معه: ﴿... وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الآية ٢٤ من سورة سبأ، وكان ذلك حوارًا حول المعتقد، ثم أردفه بقول موجزوقاطع: ﴿قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ، قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ الآيتان ٢٥ و٢٦ من نفس السورة..

لم يسبهم، ولا كان من طبعه عليه السلام أن يزدريهم، اتباعًا لقول رب العرش: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ الآية ١٠٨ من سورة الأنعام .. السب والشتيمة والتهميش والتعالي والتكبرليست من الحوار إذا أردنا أن ندشن مرحلة جديدة متطورة من الحضارة الإسلامية في ثوبها الجديد، لأنها تقود إلى ما لا تحمد عقباه من صراعات وإلى ما لا يندرج ضمن متطلبات السلام والاستقرار والبناء والإعمار في كافة أنحاء الأرض ..

ليس المقصود من الحوار أن تكون غايته الاتفاق حول رؤية واحدة أو التوصل إلى تطابق في الرأي، لأنه أمرليس من طبائع البشر الفطرية التى تسعى إليه ضمن أول مبادرة .. لكن الاتفاق الجزئي

على قدر بساطته ومحدوديته ، هو الذي يرسم الطريق نحو مزيد من اكتشاف القواسم المشتركة وينمى الحاجة لحجم أكبر من التفاهمات التي تجمع ولا تفرّق، والتي من شانها أن توسّع من مساحات التفاهم وتنقلها من البساطة والمحدودية إلى آفاق التنوع والتعددية ..

ويقوم **ثانيًا** على تحقيق السلام والوئام والاستقرار لكافة خلق الله..

دعوة القرآن للسلام والوئام بين المجتمعات البشرية ، أمر ظاهر وواضح وجلي .. ودعوته لاستقرار أركان الحياة لإعمار الأرض ، مسألة لا خلاف عليها .. ونَهيه عن استخدام العنف إلا للرد على عدوان ، أمر متفق عليه ..

وأمر الآية ٢٠٨ من سورة البقرة لنا لا يحتاج لتفصيل : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ .. وندرك منه أننا مطالبون بإقرار السلام والأمن فيما بيننا ، ومطالبون أن نعمل على إقراره للبشرية جميعًا .. ولكي يتحقق السلام على كلا الجبهتين الداخلية (فيما بين المسلمين كافة) والخارجية (بينهم وبين الأمم الأخري) لابد من الاعتراف بهؤلاء وهؤلاء .. ولابد من احترامهم جميعًا والتواصل معهم بلاإقصاء وفق المنهج الذي فرضه الله على رسوله الكريم ﴿ .... وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ الآية ١٢٥ سورة النحل..

السلام الذي يدعو إلى الأمن ويؤسس للاستقرار، لا يقوم على العنف ولا يُرسخ لازدراء الآخر ورفض الاعتراف به و إنكاروجوده ، ولكنه يقوم على التفاهم معه بالمنطق والحجة وعلى تبادل المعرفة معه وتعزيز المشترك بيننا وبينه سواء كان هذا الآخر شخصًا أو أمة .. لذلك يأمرنا رب العرش الكريم ﴿ ..... فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ الآية ٩٠ سورة النساء ، الاعتزال والإقبال على السلام شرطان موجبان لتغييرنمط التعامل مع الآخرالذي كان في حالة حرب معنا ..

الإنصاف في الرؤية والتزام العدل في تقييم الآخرالشخص أو الأمة ، نبع صافٍ من ينابيع القرآن الكريم أمرنا الله بأن يكون محور مشاركتنا في إعمارالدنيا بالاتفاق والتواصل مع الآخرين ..: ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُبِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ..... ﴾ الآية ٩٠ سورة النحل ..

و إذا رأى البعض منا أن أمرالعدل والإحسان كما أوردته الآية الكريمة ينصرف إلى أبناء العقيدة الواحدة والمذهب الواحد أو حتى الفكرالسياسي الواحد ، فما رأيهم في عظمة الآية التالية التي تبين أن القرآن الكريم لا يقتصرفي حديثه عن الآخرعلى الموضوعية والانصاف فقط ، بل يأمربالعدل والتسامح معه ويزيد على ذلك بتفضيل العفو عن الإساءة ويقضي بترسيخ معاملتهم بالمثل !! كما جاء في الآية ٨٥ من سورة هود: ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾..

وما هي وجهة نظرهم في الآية التي تنهى المصدقين بكلام

القرآن العظيم ، عن ظلم الآخروعن التقليل من شأنه و إنكارحقوقه في المشاركة الإنسانية الفعالة لخدمة البشرية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء للّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَ إِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ الآية ٨ سورة المائدة ..

فالآخرون «ليسوا سواء» ولا يصح أن ينسحب عليهم تقييم واحد وحكم واحد..

والتعامل معهم يتطلب بذل الجهد في فهمهم ، والتعرف بعمق على ما يعتقدون فيه ويؤمنون به ، ليس لاعتناقه ولكن لسبرأغواره ، وأن يكون المعروف هو مبدأ التقارب فيما بيننا ..

لابد أن نكون حريصين على أن نرسخ لمستويات تعاملنا مع الآخر وفق متطلبات العفو والأمر بالمعروف ، بالتوازي مع الإعراض عن الجاهلين ..

و إذا ما تعقدت الأمور بيننا ولم تتحقق متطلبات العفو والصفح ، فعلينا أن نتعامل معهم بالمثل .. ويا ليتنا نلجأ للصبرعليهم: ﴿ ... وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ الآية ١٢٦ سورة النحل ..

لأن الصبرعليهم يُبعد أي بادرة للتصادم معهم ويقلل إلى حد كبيرمبررات تعميق الاختلاف بيننا وبينهم ، ويؤدى بهم من ناحية أخرى إلى إعادة النظرفي أقوالهم وأفعالهم ، ومن ثم تصبح عودتهم إلى الطريق القويم أقرب للتحقق ، وهنا يأمرنا رب العزة باتّباع قاعدة

قرآنية جوهرية ، تقول ﴿ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ..

أما إذا تعمق الخلاف وتصاعد التصادم وتحول إلى عدوان سافر، فعلينا فورًا أن نعمل بما أمرنا به القرآن ، أي نقوم برد الاعتداء فورًا بلا تباطؤ بعد أن نستعد له كما أمرنا الله: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ ..

أما رابع هذه الأركان فهو التسامح ..

وأقصد بالتسامح هنا الجانب المشرق في آيات القرآن الحكيم التى تعكس رؤية متكاملة لواقع البشر كما خلقهم الله ، رؤية تفرض على المسلم أن يعتز بدينه وبخُلقه وأن تكون له ثقة عاليه بنفسه، وبالموقف العقائدي الذي يعتنقه وبجماعته التي ينتمي إليها ، كما تمليه عليه الآية ١٠٥ سورة المائدة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ..

ذلك لأن ترك الأمر لله هو اعتراف بأنه سبحانه هو المرجع وهو الحكم بين خلقه جميعًا ، حتى فيما يتعلق بالعقيدة: ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّ إِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ ﴾ .. الرسول مكلّف من ربه بأن يبلغ الرسالة ، أما مستقبل الهداية بها أو الإعراض عنها ، فالله من قبل ومن بعد في كلا الحالتين ، بنص قرآني قاطع: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ ..

العناصر المؤكدة لوحدة الأمة الإسلامية
قراء معاصرة

مصطفى ملص *

hليس من الغريب في القرن الميلادي الواحد والعشرين وبعد مرورأربعة عشر قرنًا على بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أن نكتب ونتحدث لنؤكد أن الأمة الإسلامية أمة واحدة ، أولندعوا إلى هذه الوحدة التي أثبتها المولى عزّوجل في قرآنه الكريم بقوله: ﴿إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ وبقوله في آية أخرى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

إن النصوص الشرعية أوالدينية من كتاب وسنّة كلها تثبت وحدة أمة المسلمين، وأن العرق أواللون أواللسان أوالانتماء الاقليمي كلها عناصرلا تؤثرفي وحدة الأمة سلبًا، وأن جامع المسلمين الأول والأساسي هو شهادة أن لا إله الإالله وأن محمدًا رسول الله، من آمن بها فهو مسلم، له وللمسلمين وعليه ما عليهم، ولا يُعاب على كفرٍ كان عليه إنسان بعد أن يدخل في الإسلام مهما كان هذا الكفر،

---

* ـ باحث ومفكر إسلامي - لبنان.

شركًا أو إلحادًا أو انكارًا لوجود الله عزوجل، أو عبادة وثنٍ أو صنمٍ أو كوكبٍ أو نارٍ أو عجلٍ، أو غير ذلك مما يتخذه الناس أربابًا من دون الله.

وإذا كان الدخول في الإسلام يكتمل بشهادة التوحيد، فإن مستلزمات هذه الشهادة حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث «جبريل عليه السلام» الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والذي يبين فيه النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم أركان الإيمان وأركان الإسلام هي: الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتابه واليوم الآخر والقَدَرِ خيرِهِ وشرِهِ من عند الله، وأن أركان الإسلام خمسة، وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلًا، وأن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك،... الخ.

فمن اجتمعت عنده أركان الإيمان وأركان الإسلام فهو مسلم، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم. وهكذا نجد أن النصوص جعلتنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها في تحديد من هو المسلم الذي هو جزء من أمة الإسلام.

أما الواقع فهو مختلف في كثير من نواحيه مع نصوص الكتاب والسنة، ونرى فيه من يستسهل القول بالتكفير أكثر بكثيرٍ من القول بصحة الإيمان، **حتى أن بعضهم يكفّر الناس احتياطًا**، فلعل

لديهم ما يخرجهم من الملة وهو لا يعلم به!! وفي هذا خلافٌ لهدي و إرشاد وتعاليم المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي رضي من الناس إظهار إسلامهم ليحكم به، ولو كانوا منافقين، فكان يقول عليه الصلاة والسلام عن المتهمين في دينهم: « بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر».

ونرى بعض الناس يربطون الحكم بإيمان المرء وكفره بحسب موقفه من شخص معين من المسلمين كخليفة أو صحابي أو عالم أو صاحب مذهب فقهي أو فكري، وكأن ذلك من أركان الإسلام، وهذا تحميل للدين ما لا يحتمله، ولو فتح هذا الباب لكان شرًا و وبالاً على الدين. نعم، الموقف من خليفة أو حاكم أو إمام بعد رسول الله لا يُخرج من دين الله ولا يطعن في الإيمان.

ما يطعن في إيمان المرء أن يُكذّب أو يُنكر شيئًا ثبت في كتاب الله، أو قال به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا مخرج من الملة قطعًا، اما ما سوى ذلك فقد يكون ذنبًا من الذنوب يتاب منه، أو يعاقب عليه. كما أن سابَّ الله أو رسوله وهو مدرك لما يقول كافرٌ لما في ذلك من الاستهانة بالله ورسوله ولكل حكمهُ عندَ الفقهاء.

إن ما نريد الوصول إليه هو ضرورة وضع منظومة تستند إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في تحديد مَنْ هو المؤمن أو المسلم ومن هو الكافر، ومن هو المرتدّ عن الدين ومن هو الفاسق ومن هو المبتدع أو صاحب البدعة في الدين، لنضع حدًا لفتنة

التكفيرالتي تضرب اليوم بين المسلمين، فتفرق صفهم وتفسد وحدتهم وتجعلهم في ضياع يستفيد منه أعداؤهم والمتآمرون عليهم والطامعون في إضعافهم وتفريق صفهم، فليس للمسلم أن يكون عونًا لأعداء الإسلام على المسلمين، وليس له أن يترك نصرة إخوانه في الدين، فضلًا عن وجوب نصرة المظلومين أينما وجدوا ما استطاع إلى ذلك سبيلًا. ومن حديث رسول الله: «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يدٌ على مَنْ سواهم».

إن أحوال المسلمين اليوم على اختلاف بلدانهم ليست بالجيدة، وقد تداعت عليهم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، وهم متفرقون ضعفاء، متحاربون متنازعون، يضعون أنفسهم في خدمة خصومهم وأعدائهم، وهم أحوج ما يكونون إلى اجتماع كلمتهم ووحدة صفهم، وفقًا لكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، لذلك نحن مضطرون لأن نتحدث عن العناصرالتي تؤكد على وحدة أمة محمد صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

العناصرالمؤكدة لوحدة الأمة الإسلامية

المسلمون هم الذين صدّقوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وآمنوا بالله ربًا وبمحمد رسولًا ونبيًا، وبالقرآن كتابًا منزلًا من عند الله عزوجل، وآمنوا بالغيب الذي تحدث عنه القرآن الكريم كاليوم الآخروالحساب والجنة والنار، والجن والشيطان وغيرذلك من الأمور

التي أخبرعنها القرآن الكريم سواءٌ مما هو كائن في المستقبل أو مما كان في الماضي، أو مما هو متعلق بما في السموات والأرض.

وهذا الإيمان هو الذي يوحدهم ويجعلهم أمة من دون أمم الأرض جميعها، وعندما نتحدث عن أمة فهذا يعني أننا نتحدث عن جماعة من البشر، لهم غايات مشتركة في الحياة يسعون إلى تحقيقها، وأول هذه الغايات الحفاظ على ذات الأمة، والحفاظ على ملامحها ومميزاتها التي تمتازبها، وعلى مصالحها التي تساعد على ذلك، فالانتماء إلى الأمة يحتم الالتزام بالحفاظ عليها والحيلولة دون تعرّضفها إلى مرض ينخرفي بنيانها ويحطم الأسس التي تقوم عليها.

و إذا عدنا إلى القرآن الكريم سنجد الكثيرمن الآيات التي تحثنا على ذلك، وتنهانا عن التنازع والفرقة، وعن الاقتتال والخصام، وتدعونا لكي نكون مصلحين في أمتنا ومجتمعاتنا.

والآيات تدعو للحفاظ على الإسلام بل على وحدة الأمة كي تبقى قوية عزيزة منيعة قادرة على صد الأعداء، وهذا ما يؤدي إلى الحفاظ على بقاء الأمة وحفظ وجودها، ليس كأفراد فقط، و إنما كقيم ومبادئ وتعاليم وشريعة....الخ.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه ولا يحقره، بحسب امرئٍ من الشرّ أن يحقّرأخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه..»

وهذا الحديث النبوي يتحدث عن حق المسلم على المسلم، وعن

مسؤولية المسلم عن المسلم، وفيها وجوب إنصافه وتقديره والدفاع عنه ونصرته إذا احتاج إلى النصرة، و إن شخص المسلم وماله وكرامته محرم على المسلم أن ينال منها أو أن يسمح لأي أحدٍ مسلمًا أو غيرمسلمٍ أن ينال منها.

العناصرالإيمانية والعبادية:

المسلمون على اختلاف مذاهبهم يعتقدون بما يلي:

١- الإيمان بالله الواحد الأحد بأسمائه وصفاته وينزهونه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله.

٢- الإيمان بنبوة ورسالة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إنه رسول مرسل من الله عزوجل لهداية الناس و إخراجهم من الظلمات إلى النور.

٣- الإيمان بأن القرآن الكريم كتاب الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه الموجود بين دفتي المصحف لا زيادة فيه ولا نقصان، وهو المتعبد بتلاوته في الصلاة. ولا صحة لكل تهمة تزعم أن فريقًا من المسلمين يقولون بنقصه أو تحريفه أو الزيادة فيه، ما دام مَنْ يُنسب إليهم القول ينفون ذلك عن أنفسهم.

٤- الإيمان بالمغيبات التي تحدّث عنها القرآن الكريم كالملائكة والحشروالجنة والناروالجن وغيرها.

٥- الإيمان بأركان الإيمان وأركان الإسلام وهي الصلاة والصيام والزكاة والحج بالإضافة إلى الشهادتين رغم ما يمكن أن يكون هناك من اختلافات في التفاصيل الفقهية.

٦- أداء عبادة الحج في وقتٍ واحد وشكلٍ واحد دون أي تمييز بين مذهب ومذهب أو فئة وفئة.

٧- اتفاق الجميع على أن من أنكر أمرًا من هذه الأمور الستة التي ذكرناها لا يكون مسلمًا.

هذا من ناحية الإيمان والعبادات والشعائر، أما من الأمور الأخرى المؤكدة لوحدة الأمة وللزوم أن تكون الأمة واحدة موحدة فمنها:

المصلحة العليا للأمة:

يبلغ تعداد المسلمين في العالم اليوم مليارونصف مليار بالحد الأدنى، لذلك هم من أكبر الأمم عددًا في البشرية، وهم منتشرون على اتساع رقعة الكرة الارضية، إما كشعوب أصيلة أو كجاليات وافدة إلى دول غير إسلامية أو كأقليات مسلمة في بلدان أخرى.

والعالم الغربي يواجه المسلمين كأتباع ديانة واحدة، لا يفرق بين شعبٍ وآخر ولا بين مذهب ومذهب، ولا يرضى العالم الغربي غير المسلم إلا أن تكون الشعوب الإسلامية مجرد تابع لسياساته، نأتمر بأوامره، وتحافظ على مصالحه، ثم إن السياسة العالمية اليوم تقوم على نهج القوة، وعلى نفوذ التكتلات العالمية الكبيرة، فهناك اتحادات فيدرالية مثل الولايات الأميركية المتحدة، وهناك اتحادات

كونفيدرالية مثل الاتحاد الأوروبي، وهناك أحلاف عالمية بين دول متعددة جمعت بينها مصالح خاصة مثل حلف الشمال الأطلسي، ودول البريكس، وجماعة جنوب شرق آسيا وغيرها من الأحلاف السياسية والاقتصادية والعسكرية، وغالبًا ما ترفض هذه الأحلاف أن يكون من ضمنها دول إسلامية إلا إذا كانت تابعة وهامشية وخاضعة لشروطهم.

فهل من مصلحة المسلمين في ظل هذا الواقع العالمي أن تبقى مصالحهم مهددة، وقرارهم مصادرًا وتأثيرهم في السياسة العالمية ضعيفًا أو معدومًا؟!! بالتأكيد ليس هناك عاقلٌ يرضى بذلك أو يقول به.

العالَم الإسلامي الذي يتمتع بثروات هائلة من النفط والمعادن والبحار والأراضي الزراعية والتنوع المناخي لو قُدّر له أن يتوحد على أسس من الوعي والإيمان والحكمة لاستطاع الإفادة من ثرواته وقدراته التي تذهب اليوم هدرًا وتتحكم بها الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا، وبريطانيا التي لم تنخرط في الاتحاد الأوروبي بشكلٍ كامل.

إنه مما يؤسف له أن الدخل القومي للعالمين العربي والإسلامي لا يقاس بالدخل القومي لبعض الدول الأوروبية، فهناك دراسات تقول إن الدخل القومي لإسبانيا مثلًا ـ وهي دولة ليست غنية في أوروبا وتعتمد في دخلها القومي على السياحة وعلى بعض الصناعات ـ

يعادل الدخل القومي لمجموع الدول العربية بما فيها الدول النفطية، و إن دخل إيطاليا يعادل دخل العالم العربي و إيران.

إن المطلع على أحوال الدول الإسلامية بمعظمها يدرك كم تعاني من الفقروالتخلّف، فبعض الدول في أفريقيا مثلًا ما زالت بدون شبكة طرقات معبدة وبدون كهرباء أو هاتف وتعاني نقصًا هائلًا في الطب والمستشفيات والجامعات والمدارس، و إن أرضها متروكة بدون زراعة رغم توفرالماء وخصوبة الأرض، وذلك بسبب عدم قدرة أهلها على تأمين الآلات المساعدة في الزراعة وبسبب عدم وجود المستثمرين من المسلمين وغيرهم. ونضرب مثلًا على ذلك دولة السودان التي يمتنع العالم العربي والإسلامي عن مدّ يد العون لها، مما أدى إلى فشل الدولة في الحفاظ على وحدتها وقامت دولة جنوب السودان التي أصبحت مرتعًا لليهود والصهاينة يتخذون منها منطلقًا للنفوذ في القارة الأفريقية بشكلٍ عام.

إن دولًا مثل السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة تمتلك ثروات هائلة كدول وكأفراد أثرياء، وهي تستثمرهذه الثروات في أميركا وأوروبا أو تضعها في البنوك الربوية، ومن المؤسف أن الإدارة الأميركية هي التي تتحكم بهذه الثروات والودائع. وتستطيع الحكومة الأميركية بقرارٍمنها أن تحجز كل هذه الأموال أو أن تصادرها إذا شاءت ولن يكون للدول العربية المعنية قدرة على منعها من ذلك.

فلو أن هذه الأموال وغيرها كثير استُثمرت في العالم الإسلامي لحولت هذا العالم إلى جنة من الخيرات ولقضت على ظاهرة البطالة التي تشمل أكثر من أربعين بالمئة من الشباب العربي والطاقات العربية.

ثم إن التجارة البينية بين دول وشعوب العالم الإسلامي لا تتجاوز نسبة ٥٪ من الميزان التجاري لهذه الدول، بينما تبلغ النسبة مع الغرب ٩٥٪ رغم أن هناك إمكانية لرفع هذه النسبة إلى ٥٠٪ لو توجهت هذه الدول بإتجاه العالم الإسلامي، مما سيؤدي إلى نتائج اقتصادية مذهلة على كافة الصعد.

ومن الملاحظ أن العالم الغربي يستورد المواد الخام من العالم الإسلامي بأسعار زهيدة ثم يعيد تصديرها إليه بعد تصنيعها بأسعارٍ خيالية بحيث يغطي جزءٌ صغيرٌ من المواد الخام المصنعة كلفة استيرادها كلها كمواد خام.

إن وجود حكام خاضعين للتأثير الأميركي خصوصًا والغربي عمومًا، يعيشون الخوف على عروشهم ومناصبهم سوف يُبقي العالم الإسلامي في حالة شلل تجاه هذا الوقع المؤلم، لذلك فإنّ الأمل معقود على توعية الجماهير بالمخاطر الحقيقية التي تتهددها. هذه الجماهير التي تعمل أميركا و إسرائيل والأنظمة العميلة لها على إيجاد عدّو وهمي لصرف انتباه الأمة عن أعدائها الحقيقين، سالبي قرارها وناهبي ثرواتها والمحتلين لأرضها ومقدساتها.

التعاون العلمي والتقني:

لا سبيل للارتقاء بالحياة إلا بالعلم وامتلاك القدرة على إنتاج التقنيات الحديثة والمتطورة، ولقد امتلك العالم العربي ناصية العلم فتحكم به بحيث يمنعه عمن يشاء ويبيحه لمن يشاء.

وقد فرضت الدول الأوروبية حظرًا على تحول مصر إلى دولة صناعية وفرضت عليها أن تبقى دولة زراعية، وكانت مصر في أيام محمد علي باشا مع اليابان وفرنسا في مستوى اقتصادي واحد. فأين أصبحت اليابان وفرنسا وأين أصبحت مصر اقتصاديًا؟ اليابان وفرنسا من أقوى دول العالم اقتصاديًا بينما مصر تتسول الحنطة من الولايات المتحدة الأميركية.

وما زال القرار الغربي حتى الآن نافذًا بحق دول العالم الإسلامي بحيث يمنع على هذه الدول امتلاك العلم والصناعة والتقنية، ولا يسمح لها إلا بالصناعات التي أصبحت متخلفة قياسًا على التقدم العلمي الحاصل في الغرب.

وما الموقف الأميركي والغربي اليوم من البرنامج النووي السلمي الإيراني إلا تطبيق لهذه السياسة وهذا القرار، وهم يضغطون على إيران لوقف التخصيب ويعلنون استعدادهم لبيعها اليورانيوم المخصب لمفاعلاتها السلمية، والقصد من ذلك إبقاء التقدم العلمي في إيران تحت السيطرة الغربية للحد منه وصولًا إلى تعطيله وتدميره.

لذلك يحتاج العالم الإسلامي إلى وحدة سياسية تجعله قويًا

وقادرًا على مواجهة الحظرالغربي على العلوم والتقنيات، وقادرًا أيضًا على تبادل الخبرات بين دوله وشعوبه، فلن يكون للعالم الإسلامي تقدم وتطورفعلي ما دام غيرمستقل عن الإرادة الغربية. والتجربة الإيرانية خيرنموذج، حيث تدل على أن هناك إمكانية لامتلاك ناصية العلم والتقنية والقدرة والقوة على الصمود والتحدي، ولكن الأمريحتاج إلى قرارسياسي و إلى قيادة تعرف كيف تديرالمواجهة مع الغرب المستكبر.

وحينما نتكلم عن التعاون العلمي والتقني لا نعني به فقط التعاون العسكري أو التسليحي، بل التعاون لحل كثيرمن المشاكل على صعيد التنمية الزراعية والصناعية والتعليمية والبيئية وعلى صعيد استثمارالثروات الطبيعية والثروات المائية البحرية والنهرية، والمطرية، وغيرذلك.

الوحدة وفتح الحدود:

إن الوحدة بين الشعوب والدول الإسلامية سيكون لها أثر كبير على صعيد إلغاء الحواجزالجمركية وعلى صعيد انتقال الأفراد بين الدول والأقاليم، وسيكون لها أثراقتصادي كبير، لأن سوقًا ستنشأ بين ما لا يقل عن مليار إنسان، فكم ستوفرهذه السوق من فرص العمل أمام الطاقات العلمية والتجارية والصناعية والشبابية.

إن الحدود الوهمية بين الشعوب الإسلامية لم توجد إلا لخدمة

الغرب الاستعماري وللتفريق بين أبناء الأمة الواحدة، لذلك تؤكد تجارب الأمم أن الاتجاه لإزالة الحدود هو المصلحة الحقيقية، فدول الاتحاد الأوروبي أزالت الحدود فيما بينها ويستطيع الأوروبي وغير الأوروبي الموجود في أوروبا أن يتنقل بين هذه الدول دون أن يعيقه عائق أو يسأله عن مساره سائل، وفي أميركا نجد أن الحدود بين دول أميركا الشمالية ليست أكثر من خطوط وهمية وأن المواطنين الكنديين والأميركيين والمكسيكين يدخلون ويخرجون بدون تأشيرة دخول، كما أن حركة تبادل السلع والبضائع جيدة بالكامل.

ماذا تعني الوحدة الإسلامية؟

ربما يتخوّف البعض من دعوة الوحدة باعتبار أنها تلغي الخصوصيات بين الشعوب، وتؤدي إلى خضوع بعضهم للبعض الآخر، أو إلى تحكّم الدول القوية بالدول الضعيفة.

والبعض يفهم منها قيام نظام سياسي على رأسه خليفة أو حاكم قد يصبح دكتاتورًا أو طاغية يفرض إرادته وقراراته على الآخرين. وربما كانت هناك مخاوف أخرى وجميع هذه المخاوف مشروعة وللناس الحق بها.

ولكن ما نريد قوله إننا لا نقبل بفرض تصور معين للوحدة بين المسلمين ودولهم، ولا ندعي أن هناك إطارًا سياسيًا مجرّبًا أو محدثًا يشكل نموذجًا لهذه الوحدة.

إن إيجاد التصور حول الوحدة و إطارها السياسي أمرٌ متروك لأولى الشأن والاختصاص من رجال فقه وقانون دستوري واقتصاد وسياسة وأمن وجيش كل في مجاله واختصاصه، فقد تكون الصيغة دولة فيدرالية أو كونفيدرالية، أو اتحادًا أو حتى حلفًا، وقد يرى البعض اندماجًا وقد يرى البعض الآخر الحفاظ على أشكال من الدولة ضمن الاتحاد، إلى آخر ما هنالك من تصورات.

إن مسألة الوحدة الإسلامية وأطرها تشكل تحديًا أمام المسلمين عليهم أن يجدوا الصيغة التي تكفل قيام وحدة بينهم قابلة للحياة والاستمرار وتحقق في ذات الوقت الغايات والأهداف والمصالح العليا للوحدة الإسلامية، وأساس هذه الوحدة أن نقر جميعًا بأن من توفرت فيه أركان الإيمان وأركان الإسلام فهو مسلم له مالنا وعليه ما علينا، مهما تضاربت المصالح والرؤى والأفكار والنظرة إلى التاريخ أو إلى الرجال أو كان الاختلاف حول قضية من قضايا الدنيا.

عناصر وحدة الأمة الإسلامية
بين النظرية والتطبيق

محمد الدسوقي *

الإسلام دين الوحدة

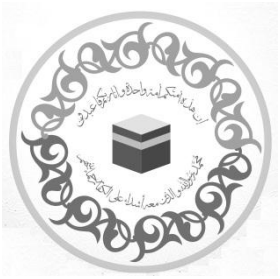

هل كان هؤلاء العرب الرحّل الذين عاشوا في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ينظرإليهم من الدول التي تحيط بهم أو تبعد عنهم نظرة اهتمام أو اكتراث..؟

هل كان يتوقع من هؤلاء الذين ثارت بينهم الحروب لأتفه الأسباب وأوهى العلل أن يوحّدوا كلمتهم، ويجمعوا أمرهم، ويكونوا مصدرقلق لسواهم ..؟

إن عرب الجاهلية على ما عرفوا به من البأس والشدة، لم يكونوا مصدرقلق لغيرهم من الأمم لأنهم عاشوا أوزاعًا لاتجمعهم رابطة، ولا يقودهم زعيم، ولا يخضعون لقانون أو سلطان، فبأسهم بينهم شديد، وثاراتهم تمتص كل ما لديهم من طاقات فضلاً عن المنكرات التي فشت فيهم وفى مقدمتها عبادة الحجارة ..

---

* ـأستاذ الدراسات العليا قسم الشريعة كلية دارالعلوم ـجامعة القاهرة .

فلما جاء الإسلام حوّل هذه الأمة المفكّكة المتصارعة المنحلّة، إلى أمة أخرى، لها قيمها الخالدة ورسالتها المجيدة، لقد صار العرب بالإسلام أمة جديدة في عقيدتها وسلوكها ومُثُلها، أمة توحدت كلمتها، وقويت إرادتها وسمت مبادؤها وغاياتها، فقادت البشرية إلى الإمام وأذهلت العالم بفتوحاتها في شتى الميادين . فلولا الإسلام لظل العرب كما كانوا في جاهليتهم جماعات متحاربة، تحصدها العداوات والغارات، وتسلب أمنها الضغائن والأحقاد ولظلوا يعيشون في عزلة في تلك الصحراء المجدبة، لا يقيم العالم لهم وزنًا .

أن الإسلام دين الحياة المتجددة الفاضلة، لأنه دين الوحدة الشاملة والقوة العادلة، وبالوحدة والقوة تتحقق كل المعجزات وتعيش الأمة التي تؤمن بهما قولاً وعملاً مرهوبة الجانب عزيزة المكانة يخطب ودّها الجميع .

على أن دعوة الإسلام إلى الوحدة والقوة، لا تقوم على نزعة عنصرية كريهة، تبغي الاستعلاء والسيطرة، لأن الإسلام دين الله إلى الناس جميعًا، لا يعرف عصبية إلا للحق، ولا يبغى علوًا إلا لكلمة الله.

من أجل ذلك قرر الإسلام أولا أن الناس من نفس واحدة وأصل واحد ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء ﴾[الآية ٣١ في سورة النساء] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الآية ١٣ في سورة الحجرات].

ويقول الرسول (ص) «كلكم لآدم وآدم من تراب».

وحين قرر الإسلام ذلك فقد أبطل تلك المزاعم التي تذهب إلى تفضيل بعض الشعوب والأجناس على بعض لأسباب ليست لها علاقة بهذا التفضيل ولا تدل إلا على عنصرية بغيضة عفى عليها الإسلام، ونزعة منحرفة قاست منها البشرية وما زالت الويلات والمتاعب، ويكفى أن الحربين العالميتين نتيجة،لهذا الانحراف الكريه، كما أن الصهيونية العالمية بنشاطها المحموم في كل مكان من أجل تحقيق أحلامها العريضة في الوطن العربي إنما يحركها ويشد أزرها مزاعمها العنصرية البغيضة التي تنظر إلى غير اليهود نظرة الكراهية والاستعلاء والعداء.

فالمسلم إذن يؤمن بأنه عضو في الجماعة الإنسانية كلها، وأن هذه الإنسانية لا يتفاوت أفرادها من ناحية الشكل والمكان، ولكن من ناحية ما يقوم به كل فرد من عمل صالح ينفع الناس، وهذا الإيمان يفرض على المسلم أن يسهم ـ ما استطاع ـ في تقدم الحياة ورفاهيتها وأن يكون دائمًا رسول خيروسلام وداعية أمن ووئام.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يؤمن المسلم بأنه والمسلمين جميعًا يشكلون أمة أبرز سماتها الوحدة: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[الآية ٩٢ في سورة الأنبياء]، والأُخوّة

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[الآية ١٠٣ في سورة آل عمران]، والمحبة والتناصروالتكافل: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾. «من لم يهتم بأمرالمسلمين فليس منهم».

فوحدة المسلمين قوامها الأخوّة والمحبّة والإيمان بأن وشائج العقيدة أقوى وأولى من وشائج الدم والنسب، ولذلك فهي وحدة راسخة الدعائم لا تنال منها الأحداث، لأنه لا يمكن تحقيق وحدة سليمة أصيلة في مجتمع لا يشعرأفراده بأنهم سواسية كأسنان المشط، وبأنهم أخوة تجمعهم عقيدة لا تؤمن بفوارق الأجناس والألوان.

إن الوحدة في الإسلام وحدة جامعة، والمسلمون بها كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام كالجسد الواحد أو كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضًا.

ولحرص الإسلام على وحدة أتباعه وتماسكهم وبقائهم دائمًا صفًا واحدًا وقلبًا واحدًا نهى عن كل ما يضعف هذه الوحدة، فلا غيبة ولا حقد ولا كذب ولا نفاق ولا اعتداء على الحقوق والحرمات، و إذا ما نشب خلاف بين جماعتين من المسلمين فقد وجب الإصلاح بينهما و إزالة جميع أسباب الخلاف والشقاق، و إذا لم تذعن إحدى الطائفتين لما فيه الخيرللمسلمين كان استعمال السلاح ضدها أمرًا مشروعًا وعملاً مطلوبًا: ﴿وَ إِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا

بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِاللّٰهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الآية ٩ في سورة الحجرات]

إن الإسلام يمقت التفرق ويحذّرمن الخلاف ويحض على الوحدة لأنها سبيل القوة وطريق النصروالعزة: ﴿ وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.. ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾.

وقد يقال : إذا كان الإسلام دين وحدة واتحاد فلماذا نرى المذاهب الفقهية والكلامية قد فرّقت المسلمين إلى نحل ومذاهب تتخاصم وتتعادى وتحدث بين المسلمين شقاقًا وخلافًا ؟! ولكن إذا عرفنا أن المذاهب الفقهية والكلامية لا تخوض في المسائل القطعية والأحكام الكلية، و إنما تبحث في المسائل الظنية والفرعية وأن اختلافات المجتهدين ليست مبعث شقاق لأنها آية على تفاوت العقول في المدارك والاستنباط، إذا عرفنا هذا أدركنا أن ما نراه ونسمعه من تخاصم بين المذاهب الفقهية إنما ظهرفي عصورالضعف والتخلّف والتقليد، ومع هذا فإن الذين يفقهون الإسلام فقهًا واعيًا يرون أن هذا الدين يدعو إلى الوحدة بكل معانيها، ولا يرون في مذاهب الفقهاء وعلماء الكلام ما ينقض هذه الوحدة، لأن هذه المذاهب ليست منزلة من عند الله، فهى آراء كونتها ظروف بيئية واجتماعية وثقافية مختلفة، وبالتالي ليست فرضًا يجب اتباعه، وليس لازمًا على المسلمين أو بعضهم الأخذ بقول إمام دون آخر، وقد آن للمسلمين أن يتحرروا

مما خلفته لهم عصور الضعف والتقليد . فلا ينزلون مذاهب الفقهاء منزلة لا يقرها دين ولا منطق، ولا يختلفون بسبب آراء لم نؤمر بإتباعها وعدم الخروج عليها، وليجعلوا قبلتهم في تعرف أحكام دينهم كتاب الله وسنة رسوله مع الاسترشاد بآراء الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين .

عناصر وحدة الأمة الإسلامية أو دعائم هذه الوحدة

إن الذي لا مراء فيه أن الإسلام جاء لبناء أمة و إنشاء دولة و إقامة مجتمع رائد وقائد في شتى المجالات. ولاتقوم الأمم أو تنشأ الدول، وتقام المجتمعات إلا بالمبادئ والقيم الصالحة للحياة .

والإسلام ـ وهو دين الله إلى الناس كافة ـ قرر أقوم التشريعات والفرائض التي تبني المجتمع الجديد بالرّيادة، وقيادة البشرية نحو المثل العليا والغايات النبيلة.

ومن يستقرئ ما قرره الإسلام من تشريعات ومبادئ ينتهي إلى أن أهم الدعائم التي ينهض عليها المجتمع الإسلامي هي:

١-التوحيد . ٢-الوحدة . ٣-المساواة . ٤-الحرية .

٥-الإيجابية . ٦-التوازن. ٧-التكافل . ٨-الفضيلة .

٩-العدالة . ١٠-القوة .

وتعتبر دعامة التوحيد أساس كل الدعائم التي تميز المجتمع الإسلامي عن سائر المجتمعات . والتوحيد في مدلوله العام يعني

إخلاص السلوك البشري لله وحده، فلا يعني التوحيد الإيمان بأن الله واحد أحد فرد صمد فحسب، ولكنه إلى هذا يعني التوجه إليه سبحانه بكل عمل يزاوله الإنسان، ومن ثم لا يخشى غير خالقه، ولا يريد بما يأتي ويذر من الأقوال والأفعال غير مرضاة ربه، وبذلك يتمتع بطاقة إيمانية تمنعه من أن يذل لبشر، أو يرضى بدنيّة، أو يقصّر في عمل، فمجتمع التوحيد إذن مجتمع العزة والحرية والكرامة والإحسان في كل شيء، مجتمع تسوده القيم التى تجعل منه النموذج الأمثل، والقدوة الحسنة في القول والفعل .

وآفة الآفات في المجتمعات المعاصرة أنها تخلّت بصورة عملية عن مبدأ التوحيد، فشاعت فيها مظاهر الوثنية المختلفة من عبودية المادة والسلطة . ومن عبودية الإنسان لأخيه الإنسان، فلم يعد السلوك البشري خالصًا لله وحده، ولم تعد الخشية منه سبحانه هي التي تحكم هذا السلوك، وتنأى به عن مواطن الرياء والنفاق والختل، ومن هنا كثرت مشكلات تلك المجتمعات وأمراضها المادية والمعنوية، وزايلها شعور الاطمئنان والأمان، واستبد الخوف والقلق بالجميع، على الرغم مما ينعم به الناس من منجزات حضارية خلابة : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [سورة الرعد : آية ٢٨] .

و إذا كان المجتمع الإسلامي مجتمع التوحيد فإنه أيضًا مجتمع الوحدة، وحدة الصف، والهدف والتشريع والفكر، وحدة جامعة

تدعم البنيان، وتدرأ عنه كل أسباب التصدع والانهيار.

إن دعامة التوحيد التي ينهض عليها المجتمع الإسلامي تربط بين المؤمنين برباط وثيق، فهم به أمة واحدة، أو بنيان مرصوص يشدّ بعضه بعضًا.

إن الوحدة بين جماعة من الناس لا تقوم على الوحدة العرقية أو اللسانية أو الجغرافية، أو المصالح المادية، و إنما تقوم في جوهرها على الوحدة الفكرية، فهذه الوحدة هي التي تؤلف بين القلوب، وتجمع بين المشاعر، وتحدّ من خلاف الرأي، فتتحقق من ثَمّ الوحدة بمعناها الصحيح، وبدون الوحدة الفكرية والعقدية لا يمكن أن تقوم وحدة حقيقية.

والمجتمع الإسلامي لوحدة عقيدته، ووحدة شرعته مجتمع الوحدة الفكرية في أصولها وأسسها العامة، ولذا كان مجتمع الوحدة الشاملة الكاملة، وما تعرض له هذا المجتمع عبر تاريخه الطويل من تمزّق وتفرّق مردّه إلى وهن عقيدته الذي أثمر وهن الفكر، فكان التفرق والصراع بين شعوبه أحيانًا نتيجة حتمية لذلك.

على أن من يمعن النظر في تعاليم الإسلام يجد أنها تنظر إلى الفرد في نطاق الجماعة، وأن الجماعة هي الغاية، ومن شذّ عنها أو سعى لتفريق كلمتها فمآله عذاب جهنم، وأن كل ما يهدّد وحدتها كالاعتداء على الحقوق والحرمات أو التنابز بالألقاب والتفاخر بالأحساب والأنساب – محرم محظور، و إذا اختلفت بعض طوائف

المسلمين وجرها الاختلاف إلى الاقتتال فإن على الأمة أن تقلم أظفار الباغي حتى يفيء إلى أمرالله، لتظل الأمة كما وصفها القرآن الكريم: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[سورة الأنبياء : الآية ٩٢]، وليظللها دائمًا الإخاء والمحبة والإيمان بأن وشائج العقيدة أقوى من وشائج الدم: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[سورة آل عمران : الآية ١٠٣] .

ووحدة المجتمع الإسلامي وحدة إنسانية غيرعنصرية، فالمسلم يؤمن بأنه عضو في الجماعة البشرية كلها، وأن مصدرالنشأة لهذه البشرية واحد، وكذلك مصيرها واحد، وأن الأفراد لا يتفاوتون من حيث الشكل واللسان والمكان، و إنما يتفاوتون من حيث التقوى، وما يقوم به كل منهم من عمل صالح ينفع الناس، وهذا يفرض على المسلم أن يسهم ما استطاع في تقدم الحياة ورفاهيتها، وأن يكون دائمًا رسول خير، وداعية إصلاح، ومن هنا تصبح الوحدة الإسلامية وحدة تنصرالحق وتقضي على الظلم، وتتعاون على البروالتقوى، ولا تكون بحال وحدة تنظر إلى الآخرين نظرة ازدراء أو عداء .

وأما دعامة المساواة فهي ثمرة طبيعية لدعامة الوحدة، فهذه لا تتغلغل في الضمائروالمشاعر إلا إذا أيقن الجميع أنهم سواء في الحقوق والواجبات وأنه لامحاباة ولا تمييزبين الناس لجاه أو سلطان.

إن وحدة النشأة والمصيرتعني أن المساواة حقيقة لامراء فيها، وأن

التفاوت في الطاقات والقدرات، و إن أدى إلى تفاوت في المناصب والثروات، لا يعني طبقية أو تفريقًا بين الناس في الكرامة الإنسانية، أو حق الحياة الكريمة، فالكل أمام تشريع الله كأسنان المشط، لا أنساب ولا أحساب، ولكن مساواة وعدالة، ويتحقق للأمة بهذا قوة معنوية تؤلف بين قلوب أبنائها، فلا حقد ولا بغضاء ولا حسد ولا استعلاء و إنما تآلف ومودة و إيثاروتعاون، كما تتحقق لنا قوة مادية، فالكل يعمل وفق ما يسرالله لكل منهم، والكل يعطي في سخاء و إحسان، لأن أحدًا لا يظلم، ولا يذهب جهده وعرقه إلى متعطل أو مستبد طاغية .

إن تكريم الله للإنسان تتجلى بعض صوره في إلغاء كل الأعراض الزائلة من حيث اتخاذها معيارًا للتفاضل بين الناس فهم كافة كأسنان المشط، لا يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون، فالمساواة من ثَمّ تكريم للإنسان وتوجيه لطاقاته وقدراته نحو الخيروالبروالإتقان، ولهذا كانت ردءًا للوحدة، وثمرة لها أيضًا، كما كانت مصدرًا لقوة الأمة وعطائها، وهي لذلك دعامة أساسية من دعائم المجتمع الإسلامي، مجتمع التوحيد والوحدة والقوة في مختلف مجالاتها .

وتعنى دعامة الحرية أن المجتمع الإسلامي لا يقر رقًا فيه أيًا كان لونه، فالناس خلقوا أحرارًا، فلا ينبغي أن يخضعوا إلا لبارئهم، ولا يجوزأن يستعبد الإنسان أخاه الإنسان، ولذا كانت ظاهرة الرق في

تـاريخ البشـرية امتهانًـا صـارخًا للكرامـة الإنسـانية، وجـاء الإسـلام وكانت هذه الظاهرة لا تكاد تخلو بقعة من الأرض منها، فعالجها بأسلوبه الخاص الذي يقوم على التدرج والواقعية، بحيث تتوارى من المجتمع في فترة زمنية وجيزة .

والحرية في المجتمع الإسلامي ليست مقصورة على تمتع كل فرد بإرادته واختياره و إنما تتجاوزذلك لتشمل تحررالإنسان من كل ما يشوّه معنى عبوديته لله وحده، فكما لا يجوز أن يسترقه بشر، أو يحجب عنه حاجاته الضرورية محتكرلا يجوزأن يستعبده الهوى، أو النفس الأمارة بالسوء، فهو دائمًا يستعلي على الشهوات ولا يستجيب لرغبات الجسد إلا في حدود التشريع الإلهي، وبذلك تتحقق الحرية بمعناها الصحيح في المجتمع .

ويقصد بالإيجابية إسهام كل فرد في المجتمع بحسب طاقاته وما يُسرله، في تقدم الأمة، كما يقصد بها أيضًا أن يكون الإنسان ذا شخصية ترفض أن تقلّد سواها، أو تذوب في غيرها، أو أن تكون إمّعة لا موقف لها يعبرعن ذاتها، ويعكس إرادتها واستقلالها .

إن من لم يهتمّ بأمرالمسلمين فليس منهم، ومن ثَمّ لا يتصف المسلم بالفردية، أو الأنانية والسلبية، إنه يشارك مشاركة عملية في كل ما يهم الأمة، فإذا لم يقم بواجبة كاملاً فهو آثم .

ولأن المسلم يؤمن بأنه مسؤول عن غيره يصبح كل فرد في المجتمع الإسلامي كالحارس الذي يشهرسلاحه دائمًا للذود عما

كُلّف بحراسته، فهو لا يرى منكرًا ثم لا يغيّره ما استطاع، ولا يصمت حين يفرض عليه الواجب أن يجهر بكلمة الحق، ولا يفرط في عمل أسند إليه، أو طلب منه، ولا يقف موقف المتفرج إزاء ما يلمّ بالأمة من مشكلات، وبذلك تكون الإيجابية هي الطابع العملي للمجتمع الإسلامي، ويكون بها كما شبهه رسول الله (ص) كالجسد الواحد أو كالبنيان المرصوص .

ويسود التوازن المادي والمعنوي المجتمع الإسلامي، فلا يعرف هذا المجتمع غنىً فاحشًا وفقرًا مدقعًا، و إنما يعرف مستوى لائقًا من العيش لكل فرد، ويأبى أن يكون التفاوت في حظوظ المال ذريعة إلى الطبقية والاستغلال .

إن الإسلام مع إقراره للتفاوت في الطاقات الفردية، وما يترتب عليها من تفاوت في الثروة يرفض أن يصل هذا التفاوت إلى درجة تجعل المجتمع فئتين : فئة في القمة، وأخرى في السفح، فئة تنعم بكل شيء، وأخرى لا تجد ما يسدّ الرمق، أو يحفظ الحياة، و إنما يأمر بألا يكون المال دولة بين الأغنياء، وأن تتقارب الفروق في العيش بين الناس .

و إذا انتفى الصراع بين أفراد المجتمع بسبب المال، لأن الكل يحصل عليه في توازن معقول، وفق طاقة كل فرد وجهده الذاتي، توارت مشكلات كثيرة، وعاش المجتمع في أمن وسلام، وزاد عطاء كل فرد، فينمو الإنتاج العام، ويعود هذا على الأمة بالرخاء والاستقرار.

والإسلام لا يقيم مجتمعه على التوازن المادي فحسب، و إنما يقيمه مع هذا على التوازن المعنوي، أي الوسطية في المشاعروالعواطف، حتى في الطاعات والقربات، حرصًا على الاستمرارفي الطاعة، فخير العمل أدومه و إن قلّ، وقد جاء في الأثر: «أيها الناس، أحبوا هونًا، وأبغضوا هونًا، فقد أفرط أقوام في حب أقوام فهلكوا، وأفرط أقوام في بغض أقوام فهلكوا» .

إن المجتمع الإسلامي مجتمع القصد والاعتدال في كل شيء، مجتمع يأبى الإفراط والتفريط، ويتسم دائمًا بالتوازن والوسطية، وبهذا كانت له منزلة الشهادة على غيره من المجتمعات : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة : الآية ١٤٣] .

أما دعامة التكافل فهي ثمرة طبيعية لوحدة العقيدة، و إيجابية كل أبناء الأمة، وهذا التكافل كالتوازن منه المادي والمعنوي، والجانب المادي في التكافل ينصرف إلى مسؤولية كل قادرعلى الكسب عن غيره من الضعفاء، والعاجزين ومن انقطعت بهم سبل العيش، أو من تعرض لخسارة مالية بسبب جائحة أو حريق أو سيل أو دين في غيرمعصية، ولو كان لديه مال، ولكن الدين محيط به .

إن التكافل في الإسلام أمرمفروض سواء في محيط الأسرة أو البيئة أو الأمة بأسرها، ففى محيط الأسرة فرض الإسلام النفقة، وجعل كل قادرفي الأسرة مسؤولا عن العاجزين والفقراء فيها .

وفى محيط البيئة كالقرية أو الحي مثلًا قرر رسول الله (ص) التكافل فيها بقوله : «أيّما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعًا فقد برئت منهم ذمة الله» (رواه الإمام أحمد في مسنده) .

وقد أفتى الإمام ابن حزم بأنه إذا مات رجل جوعًا في بلد اعتبر أهله قتلته، وأخذت منهم دية القتل .

أما التكافل بالنسبة للأمة فقد حملت رسالته الزكاة، وهي ليست إحسانًا فرديًا متروكًا لضمائر الأفراد وتقديرهم الذاتي، و إنما هي حق تأخذه الدولة، وتقاتل عليه، وتنفقه في مصارف الزكاة، كما أنها ليست سوى قاعدة واحدة من قواعد التكافل في الإسلام، فلوليّ الأمر الحق –عن طريق الشورى –في أن يفرض على الأغنياء ما يكفي حاجة الفقراء غذاء وملبسًا ومسكنًا .

على أن التكافل في الإسلام لا يعني فقط تأمين الفقراء ومَنْ في حكمهم على أنفسهم وعلى مَنْ يعولون في حياتهم وبعد مماتهم بكفالة ما يكفيهم من الطعام والكسوة والمسكن الذي يؤويهم، ولكنه يشمل أيضًا تأمين أرباب الأموال على مستواهم الذي وصلوا إليه بجدّهم في الحلال، فقد أمّن الإسلام كل فرد على ماله من مسكن أو أثاث أو ماله في التجارة وغيره ضد الغرق والحريق والآفات العارضة، كما ضمن له كل دَينٍ ينفقه في المكارم أو المصلحة العامة .

وينعم بالتكافل في المجتمع الإسلامي كل من يعيش في هذا

المجتمع سواء أكان مسلمًا أم غيرمسلم، فحماية الإنسان وتحقيق مستوى لائق من العيش له ـ دون نظرإلى عقيدته ـ أصل من أصول الشريعة الغراء .

وهذا الجانب المادي للتكافل مظهرمن مظاهرالتكافل المعنوي بين المسلمين، لأن الله تعالى يقول في كتابه الكريم : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات : الآية ١٠]، و إعلان الإخاء بين أفراد مجتمع ما هو تقريرللتكافل والتضامن بين أفراد هذا المجتمع في المشاعروالأحاسيس وفي المطالب والحاجات وفي المنازل والكرامات .

والمجتمع الإسلامي، إلى قيامه على ما سبق القول فيه من الدعائم، يقوم على الفضيلة بمفهومها الشامل، أي الالتزام الخلقي في كل تصرف، فليست الفضيلة خلقًا عظيمًا مع الآخرين، فحسب، ولكنها مع هذا خلق حسن في جميع ما يتولاه المسلم من أعمال، ويصدرعنه من سلوك، فقد كتب الله الإحسان على كل شيء، فمن فرّط أو قصّروهو قادرعلى الإتقان كان مسيئًا، وظالمًا والله لا يحب الظالمين .

إن المجتمع الإسلامي مجتمع الفضيلة، لأنه مجتمع الكرامة والعزة، ولا كرامة للإنسان ولا عزة له ما لم يتمتع بخُلُق عظيم، خُلُق يرقى بإنسانيته، ويحفظ عليه منزلته ورسالته في الحياة .

ودعامة الفضيلة لا تستلزم بالضرورة زوال الخطأ والخطّائين، و إلا

لاستبعدت أحكام العقوبات التي قررها الإسلام، فهى تعني أن المجتمع لا يخلو من عثرات وهفوات، وأن الإنسان لضعفه قد يزل في بعض الأحيان، و إنما تشير تلك الدعامة إلى أن يسود المجتمع طابع الفضيلة والخير لا أن يتنزه عن جميع السيئات.

ومجتمع تحكمه وحدة العقيدة ووحدة الغاية ووحدة الفكر، وكل أفراده سواء في الحقوق والواجبات، وبينهم تكافل مشترك، ويتمتع الجميع بمستوى لائق من العيش، ولا يعرفون صراعًا طبقيًا أو عرقيًا، كما لا يعرفون سلبية أو فردية، وهم على خلق عظيم، يكون مجتمعًا تسوده العدالة، فلا محاباة ولا ظلم ولا فرق بين غني وفقير، وقوي وضعيف، وحاكم ومحكوم.

إن المجتمع الإسلامي مجتمع عادل، فكل من يستظل بظله ويعيش في كنفه آمنًا على حياته وحقوقه، لا يخاف اعتداء أو جورًا، وكل من يتعامل معه من المجتمعات الأخرى لا يخشى منه غدرًا ولا نكثًا لعهد، فالإسلام دين العدل والحق مع الجميع .

وتأتى دعامة القوة لتكون المحصلة لسواها من الدعائم، وهي قوة شاملة، قوة الإيمان والأبدان والتراحم والتعاطف والعمل والإنتاج و إحقاق الحق وبسط العدل وسيادة الفضيلة، وقوة الإعداد العسكري الذي يلائم الزمان والمكان حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله . إن القوة بهذا المفهوم الشامل دعامة لا تنفك ملازمة للمجتمع الإسلامي، حتى يكون جديرًا بمنزلة القيادة والريادة

والخيرية، يقول الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : الآية ٦٠] .

تأمر هذه الآية المؤمنين بإعداد القوة بما في الطوق، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، والقوة هنا عامة تشمل كل ألوان القوة وأسبابها، وجاء النص على رباط الخيل ؛ لأنه كان الأداة البارزة عند الذين خاطبهم القرآن أول مرة، ولو أمرهم بإعداد أسباب لا يعرفونها في ذلك الحين مما سيجدّ مع الزمن لخاطبهم بمجهولات محيرة تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

والقوة التي أمر الإسلام بإعدادها ليست قوة باغية أو مفسدة ومدمرة، ولكنها قوة تحمي الحق وتنصر الخير وتقاوم الشر، فهي في أهدافها ومهمتها لا تخرج عما يلي:

أولًا : تأمين الذين يختارون العقيدة الإسلامية على حريتهم في اختيارها فلا يُصدون عنها ولا يفتنون كذلك بعد اعتناقها .

ثانيًا : إرهاب أعداء الإسلام، فلا يفكرون في الاعتداء على داره التي تحميها تلك القوة .

ثالثًا : وليس إرهاب هؤلاء الأعداء لمنعهم من الاعتداء على المسلمين فحسب، ولكن أيضًا للحيلولة بينهم وبين الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير الإنسان في كل مكان .

رابعًا : تحطيم كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية، فتحكم الناس بشرائعها وسلطانها، ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده، والحاكمية لله وحده .

ولما كان إعداد القوة يقتضى أموالًا فقد اقترن الأمر بالإعداد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾[الأنفال : الآية ٦٠] .

فالقوة الإسلامية لا تتغيّا مصلحة دنيوية، و إنما هي قوة تمكّن لكلمة الحق، وترهب أعداء الله الذين هم أعداء المسلمين، وأعداء الحياة ...

وبعد فإن مجتمعًا ينهض على تلك الدعائم يكون بلا مراء مجتمعًا فريدًا بين المجتمعات البشرية، فريدًا في قيمه ومبادئه، ومثله وغاياته، مجتمعًا قويًا في عقيدته ووحدته وأخلاقه، مجتمعًا قويًا في جهاده واستعداده و إنتاجه، مجتمعًا مستقرًا، الكل فيه آمن مطمئن، والكل فيه لا يفترعن الانتشارفي الأرض طلبًا لأنعم الله، والكل فيه أخوة متساوون في الحقوق والواجبات متآزرون متكافلون في السراء والضراء، فلا غرو في أن يكون هذا المجتمع بتلك الخصائص والسمات خيرالمجتمعات وأن تكون الأمة الإسلامية خيرأمة أخرجت للناس .

لقد كان المجتمع الإسلامي بتلك الدعائم عبرتاريخه المَثَل الأعلى لغيره من المجتمعات، فلما فرّط في هذه الدعائم أو جلّها فَقَدَ

منزلته، وذهب ريحه، وطمع فيه من كان يخطب ودّه ويخشى بأسه، وهو لن يسترد ما ضاع منه أو يصبح بحقّ القدوة لغيرة إلا إذا اعتصم بأسباب عزته وقوته التي جاء بها وحي الله، وكل جهد يبذل في سبيل النهوض بهذا المجتمع بعيدًا عن تلك الأسباب والدعائم جهد ضائع لا يجدي نفعًا، بل يزيد من بلاء المجتمع الإسلامي وضعفه وتخلفه .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[الأنعام : الآية ١٥٣] .

مؤثرات التقارب والوحدة
من خلال التفسير النبوي للقرآن الكريم

علي رمضان الأوسي *

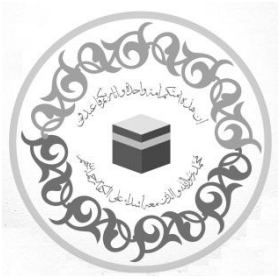

ولدت الحاجة حين نزول القرآن الكريم إلى تفسيره باعتباره مصدر الأحكام. ولما يحمله من محكم ومتشابه، عام وخاص، مطلق ومقيد، مجمل ومبين، ولما في أسلوبه من الحقيقة والمجازوالتصريح، والكناية والإيجاز والإطناب، وغيرذلك. وكان طبيعيًا أن يفهم الرسول (ص) القرآن جملة وتفصيلاً بعد أن تكفل الله تعالى له حفظه وبيانه باعتباره المبعوث الهادي، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقرآنهُ، فإذا قرآناهُ فَاتَّبِعْ قرآنهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَلِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

روي عن رسول الله (ص) أنه قال: ما منكم من أحد إلاّ وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار، فقال بعض الصحابة: أفلا

---

* ـ أستاذ الدراسات العليا في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ـ لندن، مدير القسم العربي في المركزالإسلامي في إنجلترا.

نتكل قال: لا، اعملوا فكل ميسّر لما خُلق له، ثم قرأ عليه الصلاة والسلام: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[1].

وروي عن رسول الله (ص) أنّه قال: شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا[2]، وذلك بيان لقوله تعالى: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾. وهكذا كان رسول الله (ص) يبين من القرآن ما كانت الأمة في حاجة بيانه وتفسيره.

وعليه فبعد وفاة الرسول (ص) اختلفت أفهام الصحابة للقرآن، وتنوعت، و إن فهموه إجمالاً، ويرجع ذلك إلى اختلاف مداركهم، ومعارفهم ومدى إحاطتهم بِلُغتهم، ومدى التصاقهم بالرسول (ص) و إفادتهم منه، ومعرفتهم بمناسبات النزول.

فقد روي عن عدي بن حاتم أنّه قال: لما نزلت: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾، عمدت إلى عقال أسود و إلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي فغدوت على رسول الله (ص) فذكرت له ذلك فقال: إنّما ذلك سواد الليل وبياض النهار[3].

---

١ - صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠١،٦ ٤٨/.

٢ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت، ١١٢/٢.

٣ - صحيح البخاري، ١٥٦/٥، صحيح مسلم ١٢٨/٣، وسنن ابن داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٠هـ١ :٥٢٧ : ٢٣٤٩.

وروي عن عمر بن الخطاب قرأ: ﴿وفاكهةً وأبّاً﴾، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبُّ. ثم قال: قد نهينا عن التكلّف[1].

وفي معنى «فاطر» يقول ابن عباس: كنت لاأدري ما «فاطر السماوات والأرض»، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه «أنا فطرتها» أي أنا ابتدأتها[2].

وقد قال ابن قتيبة من قبل: «والعرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه، بل لبعضها الفضل في ذلك على بعض»[3].

نزول القرآن

لقد بُعث رسول الله (ص) في ٢٧ رجب سنة ١٣ قبل الهجرة النبوية قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...﴾.

بينما القرآن الكريم لم يكن قد نزل مرة واحدة إلاّ بعد ٣ سنوات في ليلة مباركة: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ سنة ١٠ قبل الهجرة النبوية.

---

١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٢٩/١٣، وكنز العمال، المتقي الهندي، تحقيق بكري حياني، وصفوة السقاة، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢: ٣٢٧: ٤١٥٤.

٢ - جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٥هـ ٧ : ٢١١ : ١٠٢١٤.

٣ - المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، عبد الله بن قتيبة الدينوري، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الاولى، سنة ١٤١٠هـ ٩/٤٨.

ومن هنا نفهم معنى نزوله في رجب وفي شهررمضان أيضًا.

القرآن الكريم أنزله الله سبحانه دفعة واحدة على صدررسول الله (ص) وهذا ما تفيد به صيغة الإفعال «أنزل» من أجل أن يثبته ويطلعه على الشريعة التي يراد تبليغها من قبله (ص) بينما استغرق نزول القرآن منجمًا ٢٣ سنة حسب مقتضيات النزول وأسبابه وحاجة الأمة والأفراد معًا واستغرق هذا النزول التدريجي (٢٠) سنة تقريبًا بعد الإنزال الدفعي.

ولم يكن الرسول (ص) مفسرًا فحسب بل كان مبلغًا لرسالة ربه وكان نبيًا ورسولاً واماًما.

المؤثرالتقريبي الأول:

القرآن أنزله الله للإنسانية وأرسل النبي محمد (ص) للناس كافة، وليس للمسلمين فحسب. وهذا من الآفاق الإنسانية في الرسالة الإسلامية، فإذا كانت الهداية موجهة للناس كافة من خلال الرسول والقرآن معًا فليس بمقدورأحد الاجتهاد في إقصاء الآخرو إلغائه لاسيما إذا كان مسلمًا قد نطق بالشهادتين، فقد حرم الله دمه وماله وعرضه وصانها الله بحدود مغلظة .هذه الشمولية في دعوة الآخرللإسلام يعني أقصى درجات الانفتاح على الآخرمسلمًا كان أو غيرمسلم.

مميزات في الخطاب النبوي:

امتاز خطاب الرسول (ص) للناس والمؤمنين بجملة من الصفات انعكست حتى في العملية التفسيرية للمعلم الأول محمد(ص):

١- العقلانية.

٢- الواقعية.

٣- العدالة.

٤- الرحمة.

وهناك صفات أخرى لكنها تندرج تحت تلك المبادئ الرئيسية في الخطاب.

دعا (ص) إلى تحرير العقل من الجهل والتقليد الأعمى وحالات الشرك وعبادة الوثن التي تتسبب في تعطيل العقل الإنساني. فهناك ثورة على الجهل وظلمات التجهيل.

كما كان ينطلق رسول الله (ص) في كل أمر مستحضرًا العدالة، وقد أخبر القرآن الكريم عن غرض بعثة النبي (ص) وهي إقامة العدل والقيام بالقسط بين الناس.

من جهة أخرى كان الرسول (ص) رحيمًا حيث قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ، إلى جانب الواقعية في التشريع والتبليغ والممارسة من قبل رسول الله (ص) إذ لم يذهب صوب رهبانية ولم يتخفّ وراء مثاليات تتبخر أمام أية فرصة واقعية، وقد جاء بتشريع واقعي من الله سبحانه ينسجم مع الفطرة وما يقتضيه الواقع الإنساني أيضًا.

هذه المقدمات ضرورية قبل طرح موضوع التفسيرالنبوي، وهذا الخطاب بهذه المميزات المهمة والأساسية كانت له بصماته الواضحة على التفسيرالنبوي للقرآن الكريم.

المؤثرالتقريبي الثاني:

إذا كان الخطاب عقلانيًا واقعيًا ويحقق العدالة بين الناس ويدعو إلى الرحمة ويرفض الجهل ويؤسس لثورة العقل على ظلمات الجهل فإنه خطاب يفتح آفاقًا متحضرة ويؤسس لحياة تحفظ فيها الحقوق وتحقق للإنسانية سعادة التعايش والائتلاف . أين الإنسانية اليوم من هذا التشريع والخطاب الذي يتعامل بواقعية ولايدعو إلى خيالات أو نظرة طوباوية، إنه التشريع الذي ينسجم والفطرة التي خلقنا الله عليها، وهي واحدة في كل الناس، فلا فوارق ولا امتيازات ولا فخرلأحد على آخر إلاّ بموازين التفاضل التي أقرها التشريع في الإيمان والتقوى والعلم والجهاد في سبيل الله تعالى. فلا جمود من خلال هذه الواقعية ولا ظلم من خلال هذا العدل والرحمة وهذه طرق التواصل الاجتماعي التي تحقق للإنسان والمجتمع معًا مساحات التحرك المشترك وهي كثيرة .

خصائص مهمة في رسول الله (ص)

١- بعثه الله في الأميين رسولاً والأميون هم الذين لا يفقهون

الكتاب ولا يعلمون فقه السماء: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وظيفته تجاههم أن: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ . فهذه أسس مهمة في العملية التبليغية الكبرى للرسول(ص).

٢- أضفى القرآن الكريم صفات كثيرة على شخص رسول الله(ص) ومن هذه الصفات التي لها أثرواضح في نوعية التبليغ الرسالي منها:

أ: الخلق العظيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

ب: صادق: لا يبلّغ كذبًا ولا يفتري في تبليغه وحين نزلت آية تبليغ الأقربين: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ، خطب فيهم مذكرًا إياهم بعد صعوده على «الصفا» وقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم، أكنتم مصدّقي؟ قالوا: ما جرّبنا عليك كذبًا، فقال: إني نذيرلكم بين يدي عذاب شديد»[1]. فكان (ص) يسمى بالصادق قبل البعثة.

ج: أمين: قال النبي (ص) «والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض»[2].

د: عادل: قال الله سبحانه: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾.

---

١ - أحكام القرآن، ابن العربي، دارالمعرفة، بيروت، ٣: ١٤٣٧-١٤٣٨.

٢ -الجامع الصغير، السيوطي، دارالفكر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠١، ١: ٢٤١: ١٥٩٦. وانظر كنزالعمال ٦: ٢٩١/١٥٧٥٥.

هـ: شجاع: قال الإمام علي (ع): «كنا إذا اشتد البأس وحمي الوطيس اتقينا برسول الله ولذنا به»[1].

وـ رحيم: قال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

زـ حليم: يقال إن أعرابيًا جاء إلى الرسول (ص) وجذبه بردائه جذبة شديدة أثّرت في رقبة الرسول (ص) وقال له: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك. و إذا برسول الله (ص) يضحك بوجهه ثم أمر أن يعطى من مال الله[2].

مَن من الزعماء يفعل ذلك وبانسيابية نفسية من غيرتكلف؟.

ح ـ متواضع: يقول الإمام الصادق (ع): كان رسول الله يأكل أكلة العبد ويجلس جلسة العبد تواضعًا لله تبارك وتعالى. وهو زعيم ونبي وقائد، لم يدخل العجب ولا الكبر إلى قلبه ولم يخالطه غرور، و إنما كان يستحضروجوده بين يدي ربه[3].

ط ـ متوكل، في الرواية أن رسول الله (ص) نزل مع جماعته واديًا فيه شوك كثيروقد علّق سيفه على الشجرة فنام قليلاً ورأى في المنام أن شخصًا قد شهرسيفه ليضربه، فنهض من نومه و إذا

---

١ - شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد المعتزلي، داراحياء الكتب العربية، ١٣: ٢٧٩.

٢ - مكارم الأخلاق، الطبرسي، منشورات الرضي، الطبعة السادسة، سنة ١٣٩٢هـ ص: ١٧. انظربحارالانوار، المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٦: ٢٣٠ ضمن الحديث ٣٥.

٣ - الكافي، الشيخ الكليني، دارالكتب الإسلامية، ايران، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٩هـ ٨ : ١٠١/١٣١. وانظربحارالانوار١٦: ٥١/٢٦١.

بالرجل واقف وبيده السيف ويقول: من يمنعك مني يا محمد الآن؟ فقال (ص) متوكلاً مطمئنًا الله، وكان السيف بيد الظالم وكررها عليه مرة أخرى فردّ النبي (ص) عليه فقال: الله يمنعك فانكفأ. راجعًا وشام سيفه أي وضعه في غمده وجلس بعيدًا عن رسول الله(ص)[1].

مَنّ منّا لم يرعب في مثل هذه اللحظة؟

ي ـ صابر، أدميت قدما رسول الله (ص) بتحريض من المشركين حين قدم إلى الطائف تخلصًا من المشركين حيث قال (ص): «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت»[2].

ك ـ أمّي، حيث قال الله سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

ل ـ يتيم، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، وقد ساهم هذا الظرف الاستثنائي وهو صغير في بناء الشخصية والاعتماد على الذات رغم رعاية جده عبد المطلب (رض) ومن ثم عمه أبي طالب(رض)، وهناك معنى آخر لليتم بأنه يتيم دهره ولا نظير له في الوجود فهو خير خلق الله وأفضلهم.

---

١ - الارشاد، الشيخ المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت، ١٢٥/١. وانظر الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، نشر دار صادر، بيروت، ٢ : ٣٥.

٢ - مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، المطبعة الحيدرية، نجف، سنة ١٣٧٦هـ ٣ : ٤٢. وانظر كشف الغمة، علي بن عيسى الأربلي، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٥هـ ٣: ٣٤٦.

وكان نبينا محمد (ص) خاتم الأنبياء ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ﴾.

نعم إنه صاحب لواء الحمد يوم القيامة وصاحب المقام المحمود ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.

وهو صاحب الحوض كما ورد في حديث الثقلين وقد تميز هذا الحوض لسعته وكثرة من يرد إليه.

وقد سمّاه القرآن الكريم بالداعي، ووصف أمته بأنّها: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

هذه لمحة سريعة في جانب من صفات الرسول محمد (ص) ولابد أن تتجلّى هذه الصفات العظيمة في سيرته وعلاقته مع ربه ومجتمعه ونفسه وفي مواقفه وحتى في تفسيره للقرآن الكريم.

النبي عليه الصلاة والسلام
السبيل الوحيد للوحدة والألفة

حكيمة شامي *

لقد كثر الحديث عن الوحدة بين المذاهب الإسلامية الإسلامية، لأن فكرة الوحدة والتقريب بين هذه المذاهب ، وبالأحرى التعايش المذهبي بين المسلمين، والاحترام المتبادل بين جميع الاتجاهات المذهبية والاجتهادية، ضرورة حتمية ، وكيف وفي ذلك عزة الإسلام وقوته ، وفيه جمع كلمة المسلمين ، وتوحيد صفوفهم، وفيه الامتثال لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾.

قال تبارك وتعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح ٢٩.

إن من العناصر الهامة في سبيل تحقيق الوحدة الإسلامية بل من أهمها هو عنصر محبة الرسول الكريم، و إذا كانت أسباب الافتراق

---

* ـ أستاذة زائرة بكلية الآداب المغرب.

كثيرة،فإن أول أسباب الألفة والاجتماع و إزالة الفرقة، هو محبته صلى الله عليه وسلم وآله .

و إن كان الحب من أعمال القلوب فإن له تجليات في الواقع، ويتلاقى على مائدته الصوفي والمتكلم والفيلسوف والعارف، من غير تفرقة طائفية، ولا انحياز مذهبي.

ولذا نرى أول الخطوات للوحدة تحقيق هذه الغاية التي تعد أهم هذه الغايات وأمثلها وأقواه تأثيرًا، ولهذه المحبة ظواهر وشواهد في حياة المرء والمجتمع.

فلا عجب في ذلك، فقد أرسله الله للناس كافة، قدوة ورحمة للعالمين وهو القائل: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وسيرته سجلّ حافل بالفضائل والمواعظ والعِبَر، توقظ الهمم وتشحذ العزائم، وتضع المعالم للوصول إلى مرضاة الله.

و إن لنا في سيرته وأخلاقه الكريمة، رحمة شاملة للوجود بأجمعه، كما أن رحمته شملت أسرته وأمته وأصحابه، فقد كان صلى الله عليه وسلم ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وشاءت العناية الربانية أن تكون نبوته خاتمة، بل ومسك الختام للأديان وشريعته جامعة ناسخة للشرائع السالفة.

فما سر هذا التلاؤم والتناسق وهذا الخلود؟.. ذلك أنه دين فاق المدنية وألمّ بمكارم الأخلاق وجمع العلوم والمعارف كلها. فجاءت رسالته صلى الله عليه وسلم متفقة مع كل عصر وباقية ببقاء العصور والأزمنة.

كان عليه الصلاة والسلام أعظم نعمة امتن الله عزوجل بها على المسلمين، فمشيئة الله اقتضت أن المسلمين، و إن اختلفوا وتباينوا في أوطانهم، أن يكونوا إخوة متحابين متضامنين مؤازرين بعضهم البعض، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾.

وقد صورالنبي المؤمن بالجسد الواحد، بقوله :«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، وقال صلى الله عليه وسلم : «إن من خياركم أحاسنكم أخلاقًا».

إننا في حاجة ملحة إلى نهضة أخلاقية، مستمدة من المثل الأعلى، سيد الأولين والآخرين الذي قال عنه عزوجل: ﴿وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. سورة القلم، الآية ٤، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

الرسول الإنسان

كان صلى الله عليه وسلم الإنسان الكامل الذي جمع بين البعد الجلالي والبعد الجمالي، **قال أحد العارفين:** «أنوارالنبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوارنورأنور وأظهر وأقدم سوى نورصاحب الكرم... همته سبقت الهمم، ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم، لأنه كان قبل الأمم... العلوم كلها قطرة من بحره .. والأزمان ساعة من دهره».

فالرسول الكريم جاء فردّ للإنسان كرامته، وحفظ عليه إنسانيته، ونادى بحقه في الحرية والحياة الكريمة، وكم عمل جاهدًا حتى يحقق للضعفاء أمنًا وسلامًا! .

فهذه اللمحة النورانية التي وهبها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، ردت الكرامة الإنسانية على قوم أفقدهم الظلم إياها، وسلبهم نعمتها، وأعادت إليهم الإحساس بقيمتهم وحقهم في الحياة الحرة الكريمة التي لا تعرف تمييزًا بين البشر بسبب جنس أو لون أو لغة، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب.

لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلاّ بالتقوى والعمل الصالح، إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، والتقوى والأعمال النافعة للأمم والأفراد.

والله وحده هو الذي تخضع له الرقاب، وتعنو له الجباه، والناس جميعًا أمام الحق سواء.

كانت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذًا في التاريخ الإنساني كله، لم تعرف الدنيا مثلا فريدًا في سمو الخلق واستقامة السلوك وحسن المعاملة كما عرفت من سيرته، التي فاضت بها الأخبار، ورواها من خالطه وتعامل معه، وسجلتها كتب السير على ألسنتهم إعجابًا بما رأوا، وما لمسوه من نبل الأخلاق، وكرم المعاملة، ولا غرو في ذلك، فالله سبحانه وتعالى قال في كتابه العزيز: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

و إن الدارس لحياته صلى الله الله عليه وسلم لا يجد إلا أن يقف إجلالا أمام هذه العظمة التي لم تعرف البشرية لها مثيلا، والتي كانت سمة واضحة في كل تصرفاته وأقواله وأفعاله، ومنها استمد السلف والخلف المنهاج القويم، وشرع علماء هذه الأمة في بيان وظائف الإنسانية ودعوا إلى الوحدة (التشيع والتسنن)، وتحذيرها من الفرقة ولزوم الجماعة قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾ الأنفال ٤٦.

واستمدادًا من شخصه الكريم، فقد جاء في الأخبار:"وَفَدْتُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابِعَ سَبْعَةٍ أَوْ تَاسِعَ تِسْعَةٍ .فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللّهِ زُرْنَاكَ فَادْعُ اللّهَ لَنَا بِخَيْرٍ فَأَمَرَ بِنَا أَوْ أَمَرَ لَنَا بِشَيْءٍ مِنْ التَّمْرِ فَأَقَمْنَا بِهَا أَيَّامًا شَهِدْنَا فِيهَا الْجُمُعَةَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصًا أَوْ قَوْسٍ فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ كَلِمَاتٍ خَفِيفَاتٍ طَيِّبَاتٍ مُبَارَكَاتٍ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَنْ تُطِيقُوا أَوْ لَنْ تَفْعَلُوا كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَأَبْشِرُوا". رواه أحمد وأبو داود عَن الْحَكَمِ بْنِ حَزْنٍ الْكُلَفِي.

لأن الاستقامة المطلقة فوق بني البشر، ولكن سددوا وقاربوا، وهذا هو معنى كلام النبي عليه الصلاة والسلام :"لَنْ تَفْعَلُوا كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَأَبْشِرُوا".

كما لنا في سيرة آل بيته الطاهرين وصحابته الأبرار، من الأخلاق وسعة العلم ونفاذ البصيرة، والدفاع عن الدين ووحدة الأمة أسوة حسنة.

فلنسمع كلام الإمام علي كرم الله وجهه يقول: «يا بني، اجعل نفسك ميزانًا فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل مالا تعلم، وإن قلَّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك». نهج البلاغة ص.٥١.

هذا هو المؤمن السالك الناصح لأخيه المحب الذي سار على الصراط السوي الذي اختطه النبي الكريم وآل بيته الطاهرين مبني على الحب واللين واللطف، لا الشدة والقسوة.

وعليه ومن خلال كل هذا يتبين أن دعوة التوحيد أو التقريب ليست بشيء جديد، ولا دعوة حادثة ، وإنما هي تجديد العهد وارتباط طال عليه الزمن بين المنهج النبوي القويم المتين، وإذا تمسكنا به لن تضل هذه الأمة أبدًا، وهي أن نتوحد حول أصول هذا الدين، ولا نتفرق كما تفرق الذين من قبلنا. اختلاف لا فرقة، واجتهاد لا قطيعة ولا ضغينة.

فالكل مطالب بالعمل من أجل هذه الوحدة علماء ومؤسسات ومعاهد ومدارس من أجل نشر ثقافة التعارف والأخوة التي جاء بها النبي الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.